أضواء على
البيت المسيحي

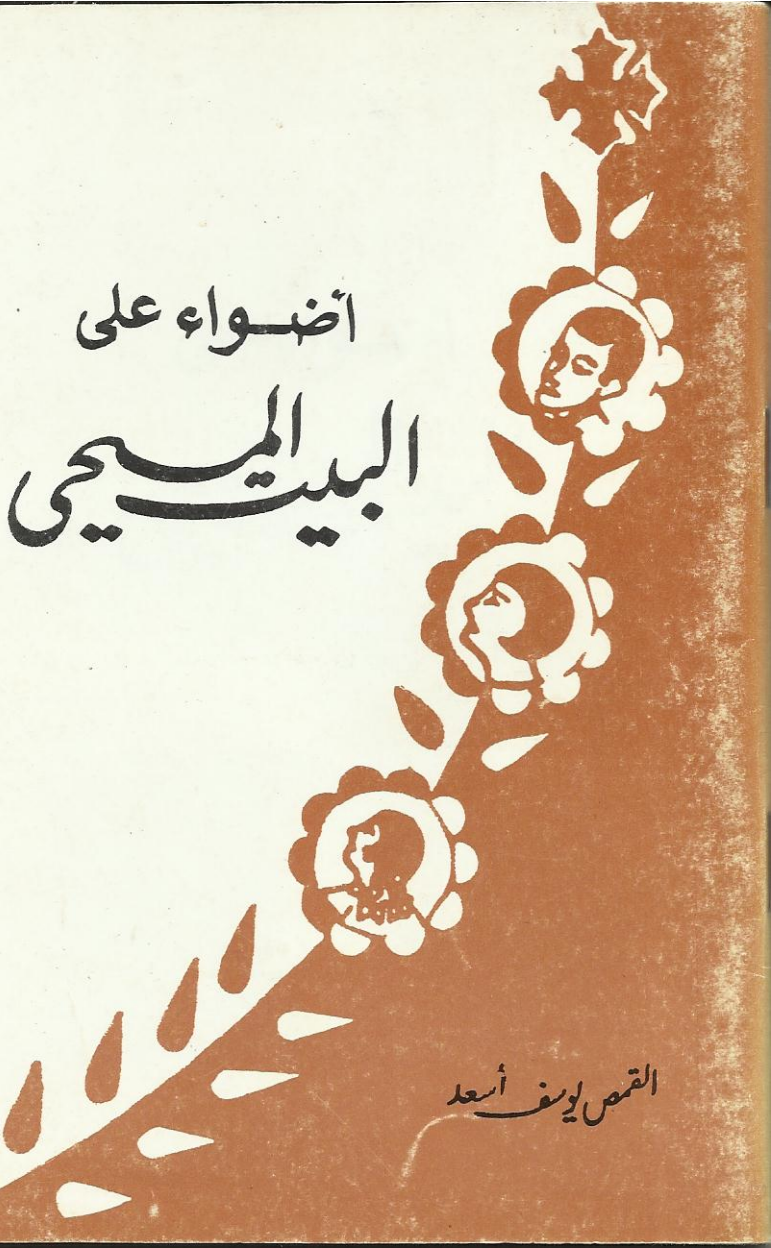

القمص يوسف أسعد

أضواء على البيت المسيحي

القمص يوسف أسعد

الكتاب : أضواء على البيت المسيحى
المؤلف : القمص يوسف أسعد
الطبعة : الأولى أغسطس ١٩٨٠
نبذات يومية وزعت خلال نهضة
صوم السيدة العذراء عام ١٩٨٠م / ١٦٩٦ ش.
الثانية يناير ١٩٨١
الثالثة فبراير ١٩٩٤
الجمع التصويرى : جى. سى. سنتر ـ ميدان سفير ـ مصر الجديدة
المطبعة : دار العالم العربى ـ الظاهر ـ القاهرة
إصدار : أبناء القمص يوسف أسعد
رقم الإيداع : ١٩٨٨ / ١٩٨١

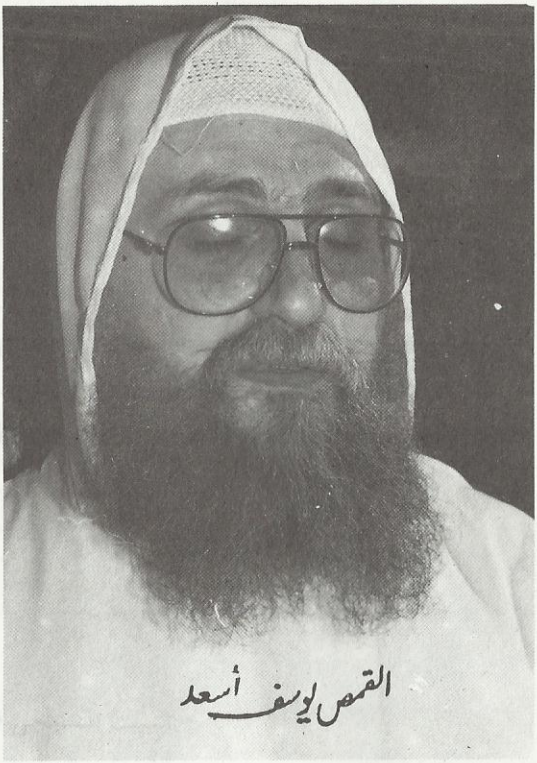

وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً

«تك ٣٩: ٢»

الفصل الأول

البيت المسيحى

+ البيت المسيحى فى المجتمع
+ الأب فى البيت المسيحى
+ الأم فى البيت المسيحى
+ الأبناء فى البيت المسيحى

١ البيت المسيحى فى المجتمع

يقوم البيت المسيحى على دعامات أساسية:

١ ـ الرب يسوع المسيح مؤسس البيت فى سر الزواج المقدس.

٢ ـ تعاون الزوجين على الحياة الأبدية والزمنية بتفاهم وحب.

٣ ـ تعاون الزوجين على العيشة المشتركة مع العائلات السابقة واللاحقة.

ووضوح الرب يسوع مؤسس البيت المسيحى من خلاله فى المجتمع يأتى من طاعة الإنجيل طاعة حية تعرف إتجاهاً واحداً هو رضى الله ومحبة وصاياه... **فالبيت الذى يعيش كل أفراده خاضعين للإنجيل بفرح ونقاوة يسهل للجميع أن يروا الرب يسوع من خلاله... إنه كالمصباح الذى يوضع على المنارة.** «فليضىء نوركم هكذا قدام الناس» (مت ٥: ١٦). ما أسهل أن يرى المسيح من خلال بيت يصلى، ويصوم، ويسامح، ويعطى، ويبذل، ويستقبل الآلام برجاء وسلام... مثل هذا البيت نور للمجتمع بدون وعظ أو دعاية.

كذلك فإن معاونة كل زوج لشريكه أن يعيش لله ويتقدم فى معرفته وينمو فى قفزاته نحو السماء، أمر لا ينكر أثره على المجتمع الذى يحيا فيه الزوجين.. لأنه يعطى نموذجاً للزواج المسيحى الذى لا يرتبط فيه الزوجين بربط مادية فقط من خلالها يحاول كل شريك أن يسعد الآخر ويهون عليه ويعاونه... ليس هذا هدفه فقط، بل وأن يكون كل منهما سبب بركة لخلاص نفس شريكه ونمو روحياته أيضاً. هذا الأسلوب الروحى للتعاون بين الزوجين المسيحيين كرازة صامتة وخميرة حية تعمل على إمتداد ملكوت الله على الأرض.

ولكن هذين الدعامتين الرئيسيتين للبيت المسيحى تؤثر فيهما مجتمع العائلات التى تحيا الأسرة المسيحية بينها. وهناك بلا شك بيوت كثيرة يطلق عليها إسم مسيحية بينما حياتها وشهادتها للمجتمع تدل على غير ذلك. فهناك:

١ ـ بيوت مفككة.. منقسمة.. الأب طول الوقت يعمل، والأم إهتماماتها خارج البيت وداخله. والأولاد لا يجدون وحدة فى إتجاه التربية، أو فى النظرة للحياة بين الوالدين.. الشجار والخلافات تحكم علاقات الكل.... والبيت المسيحى الحقيقى يشهد لهذا البيت بأن يقوم كل فرد فى البيت بخدمة قرينه فى البيت المفكك، مع محاولة جمع شملهم فى لقاء أسرى روحى وتربوى فى آن واحد... حتى يتنازل كل طرف عن ذاته ويتلاقى

الكل فى وحدة تشهد للمسيح الواحد وعروسه الواحدة.

٢ ـ بيوت متسامحة... والتسامح عند الخطأ أسلوب مسيحى رائع، لكن زيادة التسامح تجعل كل أفراد البيت يخلطون بين الحرية والضبط فى كل شىء... وتخلق أجيالاً غير قادرة على مواجهة المجتمع الذى لن يوجد فيه من يتسامح بالقدر الذى تعود عليه أفراد هذا البيت.

والبيت المسيحى الحقيقى يحتاج أن يتذكر مبدأ الإنجيل «كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق، كل الأشياء تحل لى لكن لا يتسلط علىّ شىء» (١كو ٦ : ١٢). فالحياة كالمرور له طرق وإشارات وعلامات.. ولكى أسير فى طريق الأرض كلها، علىّ تفهم طرقها وإحترام إشاراتها، وقراءة علاماتها... وإحترام حرية غيرى لكى لا أتصادم فتحل الكوارث... فالحرية المطلقة هى الفوضى... وإلهنا «إله نظام».

٣ ـ بيوت متسلطة، بالتحكم الأبوى القاسى، أو بالأمومة المسترجلة، أو بالأبناء القائمين بالإنفاق على الأسر التى تحتاج إلى بنيها مادياً... هذه البيوت تخلق أذيالاً، حتى بعد الزواج يظل تعلق الأبناء المريض ثمرة لتسلط الآباء المرير. والبيت المسيحى الحقيقى يشهد بالحب والتوجيه لهذه البيوت وقيام كل فرد فيها بمسئوليته دون إهدار الحقوق وإحترام باقى الأفراد... والإتضاع

هو الدعوة التى يقدم بها كل فرد الآخر فى الكرامة واضعاً نفسه آخر الجميع...

يا عزيزى... بيتك من المسيح تكوَّن، يا ليتك تستطيع أن ترد الكل للمسيح.

٢ الأب فى البيت المسيحى

الأبوة فى البيت المسيحى تاج بهيج له وجهان هما الحب والعدل. **فليست الأبوة فى جوهرها إلا حب، والحب عطاء حتى الفناء فى كل أوجه الحياة بلا إستثناء.** فما الذى يفكر فيه الأب عند تكوين أسرة سوى الحب... يكون مجاله الزوجة والأبناء؟!

لذا فإن الأب المسيحى هو الذى يدرك أن أبوته مجالها الأول زوجته. والنصيحة التى أقدمها للعريس قبل خروجه من الكنيسة يوم الإكليل «**أرجوك: إعتبر عروسك هذه إبنتك البكر، فلا تحرمها أبوتك مع شركتك**». لأن الزوجة هى التى تبدأ معه البيت ومن خلالها يعمر وينمو. فكيف لها أن تقوم بدورها وهى محرومة من أبوة سبق أن أوصتها الكنيسة بنسيانها فى الأب والأم الجسديين «إنسى شعبك وبيت أبيك» ؟! إن الأبوة الصادقة تشمل أولاً الزوجة، لذلك فهى تشجع وتوجه وتحتمل وتؤدب بخوف الله. وكم من زوجات سمعت منهن يقلن «زوجى هذا أبويا: أخذنى صغيرة ولم أكن أعرف شيئاً وبه تعلمت كل شىء».

والمجال الثانى للأبوة المسيحية هو الأبناء، فوجودهم ليس إسم العائلة أو لضمان الميراث، أو تكوين «عزوة»، إنما وجودهم «بركة» يتبارك بهم الأب فى الحب والإحتمال. ومع كل ما يقتضيه الأبناء من نير مسئوليات، وثقل تبعيات، فالأب المسيحى يطرح الكل أمام الله الذى يجعل «فى بيت الصديق كنز عظيم» (أم ١٥ : ٦) من الخيرات الأرضية والأبدية معاً.

وغضب الآباء، وثورتهم وشتيمتهم لا يبررها تصرفات الأبناء التى يتوقع لها دائماً وفى كافة مراحل حياتهم أن تكون ناقصة ومحتاجة إلى تكميل بالحب لا الإنفعال بالغضب. **فإن كان الزواج مقدساً تكون ثمرته مقدسة، ولا يمكن لثمرة مقدسة إلا إقامة روح القداسة فى الأب المسيحى بالإحتمال والصلاة.**

والأب المسيحى يدرك يقيناً أنه أب لأناس لا لأجزاء منهم فزوجته وأبناؤه ليسوا أجساداً ولحوماً يهتم بغذائها وكسائها وسلامة أعضائها فقط، إنما هم أيضاً عقولاً وأرواحاً. فالعقول تحتاج إلى العلم والمعرفة والعاطفة معاً بالتثقيف المستمر لجميع نواحى المعرفة الإنسانية، وبالولد وجلسات الأخذ والعطاء ورحلات الإنعاش والتجديد وهدايا التذكارات والمناسبات. والأرواح أيضاً تحتاج إلى الله: فى الكتاب المقدس والصلاة والصوم والإعتراف والتناول وكلمة الوعظ والخلوة معاً.

هو أب لكل ما فى زوجته وأولاده.. أب للجسد والعقل

والروح معاً. فيرعى ذلك كله بتناسق وحب ونشاط ومتابعة وصبر كبير.

والأب المسيحي يصنع هذا كله بعدل في المسئوليات والحقوق. فهو لا يميز ولا يفضل ولا يعير.. إن الكل لابد أن يشبعون بأبوته، ومهما إحتدمت المواقف فلا يرضى لنفسه أن يكون خصماً لأحد أبنائه أو تابعيهم. كما يوزع المسئوليات على الجميع بعدل بحسب إمكانية كل فرد وقدراته ولا يثقل على أحد يعرف أنه لا يحتمل. كما أنه يوزع الحقوق والميراث بعدل بين الجميع مهما كانت إساءة أحدهم، فهو بالأبوة يخاف الله ويسلم لله الذى يقضى بعدل ويجازى كل واحد بأعماله. إنه بالعدل لا يسمى أب فقط بل «حمى» أيضاً.

وأبوة الأب المسيحي تتعدى حدود بيته الصغير، إلى كل محتاج إليها في أولاد أخوته أو أقاربه أو جيرانه... وإلى كل النفوس المحتاجة إلى أبوة في الكنيسة المحلية. إن الكنيسة التى تزدان بآباء قديسين يحملون جوعى الأبوة على أكتافهم كحمل الصليب الذى تسخر له سمعان القيروانى «أبو ألكسندرس وروفس» سيذكر بالنور لا إسمهم فقط بل بأبوتهم أيضاً كما ذكر لسمعان أبوته فى الإنجيل. (مر ١٥: ٢١).

الحياة الصالحة أيام معدودات أما الاسم الصالح فيدوم إلى الأبد
«سيراخ ٤١: ١٦»

٣ الأم فى البيت المسيحى

الأمومة تعطى صاحبتها كرامة عند الله والناس. فالرب يسوع فى قمة العمل الفدائى على الصليب نطق لسانه لفظ الأمومة للعناية، وكل إنسان يجد نفسه فى مأزق ما لا تجد على لسانه سوى دعوى لأمه.

فالأمومة هى وعاء الغذاء دائماً، غذاء الجسد بدءاً بالدم فى الرحم المغلق، وغذاء النفس بعاطفة قوية تعمل كمرهم للجراح طيل العمر أى الحنان، وغذاء الروح بالإيمان البسيط الذى تسلمه خلال ممارستها اليومية لمسئولياتها لا بالكلام إنما بالسلوك الصامت.

وجميعنا، يجوع للأمومة، لأنه قلما يجود الزمن للإنسان بلقاء أم بعد فقده أمه.

والزوجة هى أول إمرأة تدخل حياة الإنسان بعد أمه... وكم أوصيت زوجات وهن لابسات ثياب الزفاف وقبل خروجهن من الكنيسة «**أرجوك: إعتبرى زوجك إبنك البكر، فهو محتاج إلى**

أمومتك بالإضافة إلى شركتك». نعم.. فعطاء الأمومة للزوج هو الإمتحان الأول للأمومة التى هى بالتأكيد عاطفة لا ترتبط بالولادة الجسدية بقدر إرتباطها بالحب والعطاء.

وستظل ثورة الزوج عندما يرى زوجته تعطى إهتماماً للأولاد أكثر منه، تعبيراً حقيقياً عن جوعه لأمومتها، والزوجة الأم هى التى تدرك ذلك من أول يوم فى زواجها وتضع رجلها فى قائمة أمومتها طول العمر.

والأم المسيحية هى التى تضع فى إدراكها أن أمومتها لم تكن قط بدون أبوة زوجها. ولذا سيظل زوجها مكرماً فى عينيها وعينى أولادها، ومحل فخرها فى كل مكان وأمام الجميع.

والأمومة رسالة تعرف حدودها: فهى تبنى لا لتملك، فهى تغرس لا لتحصد، وهى تمنح دون أن تبغى نفعاً ما. هى تربى لا بتعلق ولا بتدليل، إنما لتكون شخصيات تذوب فيها ومعها تكون جديرة برضى الله وإحترام المجتمع. هى تغرس الأخلاق والفضيلة ولا تنتظر من بنيها أجرة أو مكافأة. هى تمنح الإيمان، حتى فى سن عدم الإدراك، وتقبل مسئولية ذلك بالتلقين والتوجيه والقدوة.

أما الأم المتسلطة، أو المتهوسة بحماية أولادها، أو التى تبدى الخوف المرعب على صحتها وتكثر من إعلان عللها لتضمن العطف، أو التى تغرق فى مفاهيم العالم للزينة والملابس والأطعمة،

أو التى تتسامح إلى درجة التدليل... أمثال هؤلاء تنكرن للأمومة حتى وإن كن والدات أو زوجات. وهؤلاء يحتجن إلى أم مسيحية حقيقية عرفت مسيحها وأمومتها لتقودهن نحو المسيح والكنيسة الأم لعلاج كل هذا بالدواء الناجح.

لذا فإن الأم المسيحية حقاً، ستتعدى بأمومتها حدود أسرتها الصغيرة لتشبع الخدام والقادة والمحتاجين فى كل موضع. كم إستحقت «أم روفس» من بولس الرسول أن يدعوها «أمه» ويرسل لها فى الرسالة سلاماً خاصاً (رو ١٦ : ١٣) لأنها أشبعته أمومة عندما كانت تأخذ ثيابه التى يخلعها وبها آثار قروح جسده الضعيف لا لتغسلها وتعيدها له ثانية فقط، بل ولتداوى بيديها وحنانها جسد عملاق فى الروح؟!!

لذلك فعذارى المسيح المكرسات اللائى إخترن الرب يسوع بعلاً لهن يحملن الأمومة الروحية فى الكنيسة ويعاونن الأبوة الروحية للكهنوت معاونة حقيقية فى الرعاية. هل ننسى دور تكلا البتول مع مار بولس، أو الثمان سكرتيرات مع العلامة أوريجينوس؟.. لا ننسى بل نذكر ونصلى أن نعاين أمثالهن فى كل جيل وبكل بيعة.

٤ الأبناء فى البيت المسيحى

الأبناء ثمرة عمل إلهى إشترك فيه الوالدين. لذا فالبنوة الصادقة لا تنسى جميل الله الذى أوجدها، وكرامة الأبوين اللذين إشتركا مع الله فى وجودهما. ونحن لا نستطيع أن نرد أو نكافىء جميل الله إطلاقاً مهما أخلصنا، إلا بسعينا كأبناء لكى نفرح قلبه. إنه تعالى وكل السمائيين يفرحون بتوبتنا (لو ١٥ : ٧) لذا فنحن نجاهد فى التوبة والإعتراف عن كل ضعف أو إنحراف.. إنه تعالى يشعر بمحبتنا فى طاعة وصاياه (يو ١٥ : ١٤) لذا فنحن نجاهد أن نعيش بالإنجيل وسنبحث فى كل موقف عما يفرح قلب الله الذى أعطانا هذا الوجود بكل خيراته ونختار الله فى كل موقف عما عداه «ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس» (أع ٥ : ٢٩) ومهما كان صغرنا فى السن أو فى المعرفة فنحن نجد أبينا الروحى الكاهن القديس الذى نعرف من فمه الشريعة وكيف نختار الله، فنشاوره ونطيعه بحب الله أصلاً ونكرمه لتعبه معنا وجهاده عنا وسعيه لأجل خلاصنا وإختيارنا الله.

أما والدينا فإنهما الصورة الأولى التى تفتحت عيوننا عليها لنرى الله فيهما وإكرامهم وصية إلهية، تصان فى حياتهم وفى مماتهم.

ففى حياتهم نكرمهم: بأن تخفف عنهم أعباء يتكبدونها لأجلنا، فندرس بأمانة لكى يفرحون إذ يرون نجاحنا ثمرة جهادهم اليومى معنا.. ونعمل بجد ونشاط لكى نشترك فى نصيب من تكلفة جهادهم. ونتزوج أو نتكرس للرب برضاهم وبإقناعهم، وفى شيخوختهم نتحمل كل إعالتهم لا من النواحى المادية فقط بل والنفسية أيضاً. وفى أى وقت وفى أى مكان وأمام أية نوعية من الناس وبأى نوع من اللباس يرتدونه يكونون فخرنا ومحل تطويبنا. حقاً يقول الكتاب «وفخر البنين آباؤهم» (أم ١٧ : ٦).

وفى مماتهم نكرمهم: بتذكارهم الدائم أمام الله فى صلوات القداسات ومخادعنا كما يوصينا الرسل بصنع ذلك يوم الثالث لمماتهم، وتمام الشهر، وكمال الأربعين، وتمام السنة. ونكرمهم بصيانة محبتنا كأخوة بعضنا تجاه البعض، إذ وهم فى المجد يفرحون عندما يرون الأبناء ولم يفصل بينهم لا ميراث ولا أحداث، فأعظم ميراث نحفظه لهم فينا أن يدم الله معنا وبيننا بالحب والتواضع والتسامح بعضنا تجاه البعض.

وهكذا نرى أن البنوة الحقيقية تكمل الأبوة والأمومة. بل وتسعدهما ولكن هناك زوجان لا يعطيهم الرب أبناء «فالبنون ميراث من عند الرب» فهل يعيشون الحسد لغيرهم، أو الكدر لحرمانهم، أو

فقدهم لهذه العواطف العظيمة؟!! طبعاً، لا. لأن فى جيران أمثال هؤلاء، أيا كانت ديانتهم أو مركزهم أو ثقافتهم، أبناء ربما يحتاجون لأبوة أو أمومة. وأيضاً فى الأقارب والزملاء كثيرين من الأبناء دخلوا اليتم برحيل الوالدين أو أحدهما. هؤلاء يمنحون البنوة العارفة بالجميل لمن يبحث عنهم فى ضيقتهم لا المادية فحسب بل والنفسية أيضاً، ويعطيهم عطاء لا يعرف حدود الجسد إذ يتعداه إلى كل مقومات الحياة... مثل هذا التلاقى يحقق الديانة الطاهرة أمام الله الآب التى هى «إفتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم».

وإذا تعرض الأبناء فى البيت المسيحى لآباء منحرفون، وأمهات ضالات فينبغى ألا يفقدوا أمامهم بنوتهم، بل يخافون الله الذى سمح بذلك. ويحترمونهم وإن كانوا لا يسلكون إنحرافهم وضلالهم مهما نالهم من أذى بدنى أو نفسى أو مالى. **والأبناء الأوفياء هم الذين لا يسمحون لعيونهم أن ترى عورات فى آبائهم حتى ولو كانت حقيقية بل بخوف الله يسترونها**، وبجهاد مخلص يعبرون عليها حتى تعبر عن آبائهم. أمثال هؤلاء يسمعون «مبارك الرب إله سام» (تك ٩: ٢٦).

أكرم أباك وأمك

خروج ٢٠: ١٢

الفصل الثانى

سمات للبيت المسيحى

+ بيوتنا بيوت صلاة
+ بيوتنا بيوت طهارة
+ بيوتنا بيوت بركة

٥ بيوتنا بيوت صلاة

[يا أولادى.. أمكم كانت فى بيت أبوها تعيش، وأنا فى بيت أبى كنت أعيش. وجاء الرب يسوع وأمسك بيدينا ودخل معنا هذا البيت الذى أنتم فيه مقيمون. هو إذن سر معرفتنا ببعضنا جميعاً، وهو مازال مقيم معنا وإن كانت عيوننا لا تراه. فإن مر علينا يوم دون أن نتحدث بعضنا إلى بعض فهل نستريح، فما بالكم لو كان رب بيتنا الحقيقى لا نكلمه كل يوم ونتحدث معه حديث قلب كما نتحدث سوياً من قلوبنا ونحس ببعضنا من خلال كلامنا؟!.. لهذا يا أولادى لا يمكن أن يمر علينا يوم فى هذا البيت دون أن نصلى].

بهذه الكلمات عبر أب لأولاده عن سر صلاته وأمهم كل يوم وفى أكثر من وقت فى اليوم الواحد وفى مناسبات متعددة..

بيت الصلاة، لا يتكلف أو يشعر بفرض عليه.. إنما هو معايشة يومية للشريك الفعلى المؤسس للبيت: هو شركة مع ربنا يسوع

المحبوب لكل أفراد العائلة.

والصلاة فى البيت عمل يبكر إليه كل البيت وقبل أى عمل «صباح الخير» نقولها لرب السماء ولعائلتنا السماوية.

لذا فوجود ركن فى البيت للصلاة به صور مذكرة لمحبوبنا وأصدقائه السمائيين هو سمة بيوت الصلاة.

والصلاة قبل الطعام تعبير حقيقى عن وجود يسوع معنا على المائدة يكسر معنا، ويبارك، ويلهب قلوبنا بمحبته ومحبتنا لبعض.

كما أن وجود شرائط كاسيت مسجل عليها قداسات وألحان وتسبحة وترانيم (والتى إنتشر وجودها بيننا الآن) يجعل جو البيت مهيىء للصلاة والتسبيح بدون عناء كثير.

والتطبيق الصحيح للصلاة النقية يأتى من وقوف الجميع أمام الله وقد نسوا لبعض أى إساءة متعمدة أو غير متعمدة أو أى جرح للمشاعر غير مقصود. إن تقبيل أيادينا لبعض مع عبارة (أخطيت سامحنى) قبل الصلاة أو بعدها تحمل هذا كله بدون أخذ وعطاء وعتاب وكلام باطل.

أما الصلوات العامة كالقداسات فى الكنيسة، وليالى الصلاة فى المناسبات فإنها فرصة منهضة لجميع أفراد البيت للصلاة... ووجود خولاجى أو أجبية أو كتاب ترانيم ضرورى للمتابعة والإنتباه...

فالأب والأم اللذان يأخذان بأيدى أولادهم للكنيسة فى هذه المناسبات هم فى الحقيقة يأخذون بأيديهم للملكوت.

وإعتياد البيت فى الأزمات والضيقات التى تمر به... إعتياده أن يطرح الكل بين يدى ربنا يسوع أولاً وقبل اللجوء لأى إنسان أو إجراء يعطى لبيت الصلاة السلام الحقيقى والثقة الحقيقية فى تدخل الرب ومعونته... إن العواصف لا تقوى على بيت تأسس بناؤه على صخر الدهور ربنا يسوع، بل تظهر صلابته أكثر وسلامة أساساته الروحية.

أيـهـا العـزيـز:

بيوت الصلاة لن تصبح هكذا بمجرد قراءتك هذه النبذه... إنما هى بيوت جهاد ونشاط متواصل لا يتوقف الليل والنهار... فحول ولو بنداً واحداً الآن وفوراً إلى عمل... وأذكرنى فى صلاتك الآن.

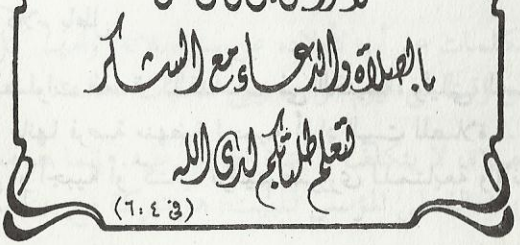

٦ بيوتنا بيوت بركة

+ [المصاريف زادت يا أم جرجس... يا أخويا خليها بالبركة!
+ أنا مخليها بالبركة، ما أعرفش اللى فى جيبى كام!
+ اللى جاى رايح وأنا ماشى بالبركة!]

إصطلاحات يكثر تداولها فى بيوتنا المسيحية. ونحن نؤمن أن بيوتنا بالبركة تؤسس وبالبركة تدار، وبالبركة تنمو.

فالبركة فى بيوتنا بدأت من أن الزواج المسيحى يلزمه بركة رضى الوالدين، وبركة رضا الكنيسة ممثلة فى الأب الأسقف والأب الكاهن. ببركة هؤلاء بدأت بيوتنا. وبئس بيت فتح أبوابه محروماً من هذه البركة.

والبركة فى بيوتنا بدأت فى إحتفالاتنا بالزواج المسيحى: أمام المذبح المقدس فننحنى لنأخذ بركة الرب الحال فى عرس قانا الجليل ينطق بها فم الأب الكاهن بينما نحن نضع أيدينا على الإنجيل المقدس عهد وطاعة ولفافة المذبح الطاهرة تستر عهدنا. إحتفالنا

بالزواج كله بركة: لا يعرف أسلوب العالم فى الضجيج والصخب والرقص والغناء والخمر إنما كله وقار وتقوى وخوف الله.

والبركة فى بيوتنا بدأت حينما أطعمنا الفقير والمحتاج وألبسناهم لا من مالنا، فليس لنا مال خاص إنما من يد الذى من يده أخذنا الجميع: من حق الرب فى مالنا: من العشور والبكور.. وهكذا نعرف أن **إستمرار البركة فى بيوتنا بإستمرار حفاظنا على حق الله فى مالنا بتقديم العشور والبكور بأمانة مهما كان إحتياجنا**. فالذى يعرف إحتياجنا يباركنا أكثر عندما نقدم من أعوازنا، كما فعلت الأرملة (مر ١٢: ٤١ ـ ٤٤).

ولهذا ففهمنا للبركة معناه أن هناك إضافة غير مرئية تضاف إلى روحياتنا، وصحتنا، وأموالنا، ورزقنا، وأولادنا،... نحن لا نراها ولكننا نحسها ونلمس فعلها تزيد ما عندنا مهما ظهر النقص المادى فى العيون البشرية «بركة الرب هى تغنى ولا يزيد معها تعباً» (أم ١٠: ٢٢)

هذا المفهوم الإيمانى للبركة فى بيوتنا يترجم بعمل سلوكى منظور: هو التنظيم فى كل شىء. لقد علمنا سيدنا عملياً فى معجزتين للبركة أشبع فيهما خمسة آلاف مرة، وأربعة آلاف مرة أخرى من خمسة خبزات فى الأولى وسبع خبزات فى الثانية مع سمكتين فى الأولى وبعض صغار السمك فى الثانية (راجع مر ٦: ٣٧ ـ ٤٤، ٨: ١ ـ ٩). إذ فى كليهما علمنا النظام فى جلوس

الآكلين فى فرق خمسين خمسين، وفى أسلوب التوزيع إذ أعطى هو، والرسل قاموا بالتوزيع، وفى جمع الفضلات ووضعها فى القفف... **إن النظام فى حياتنا العائلية هو المجرى الذى نؤمن أن البركة تصل إلينا من خلاله:** فالنظام فى ميزانية الأكل، والعمل أو الدراسة، والترويض أو الإستذكار، والرحلات والمجاملات، والمصاريف والأدوية، والأكسية الصيفية والشتوية، والإستهلاك اليومى أو الموسمى للأثاث... كله له عندنا نظام، وإدارة سليمة بدوسيهات نحتفظ فيها بكل مستنداتنا الملكية والعلمية والصحية... كما أن النظام فى علاقاتنا الأسرية مع الآخرين هو ترجمة عملية لطلبنا بركة كل بيت وكل عائلة وكل فرد فيها، فليس التطفل المنبوذ ولا الإندلاق المكروه، ولا الإسراف المنهك هو أسلوبنا فى التعامل مع باقى جيراننا من الأسر والأقرباء، فعلاقاتنا معهم منظمة ترتبط بالإنجيل أولاً وأخيراً.

وحتى حينما يرحل أحد أفراد عائلتنا للسماء نجدنا شاعرين بالبركة التى حلت بنا وبه. فقد زارنا ملاك الموت من قبل الله ونقبل الأرض شاكرين للرب إفتقادنا بملاك، وقد دخل حبيبنا إلى الملكوت آخذاً بركة الرحيل... هنا نرنم ونشكر ونبارك.

بركة الرب هى تغنى

ولا يزيد معها تعبا

أمثال ١٠: ٢٢

٧ بيوتنا بيوت طهارة

الطهارة التى تعلمنا المسيحية إياها بصفة عامة هى نقاوة أعماقنا «نق أولاً داخل الكأس» (مت ٢٣ : ٢٦)، والعناية بظواهرنا «معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس» (رو ١٢ : ١٧).

وطهارة الأعماق ونقاوتها تعنى خلو بيتنا من الشهوة «إن كل من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه» (مت ٥ : ٢٨)... والبيت المسيحى تأسس على سر طاهر يتبرأ من الشهوة. **فالزواج ليس بديلاً للزنا بالشهوة، إنما هو محاولة إسعاد كل شريك للآخر بعطائه جسده وعقله وروحه. لذا فالمضجع فى البيت هو قدس للرب**، ومع أنه سرير للنوم لكننا نرفع فوقه الصليب لنتذكر الحب الذى يضع نفسه لأجل أحبائه.

والمضجع النقى فى البيت يعرف متى يمنح، ومتى يمنع. لأن الرب والكنيسة قد أوصوا فى الزواج الطاهر بالمنع عن المضجع فى أوقات التذلل بالصوم، وقبل التناول، وأثناء الدورة الشهرية والنفاس عند النساء.

والبيت المسيحى الطاهر يحيا هذا كله فى حرية مسيحية تؤمن أن المنع هو تنظيم وطاعة وحب وليس قيداً أو فرضاً.

وطهارة البيت المسيحى تستلزم كذلك أن تكون ملابس النساء والرجال فى المضجع غير عارية. لأن المرأة ليست إناء الشهوة، والرجل كذلك. إنما الكتاب المقدس يوجهنا «ليعرف كل واحد كيف يقتنى إناءه بطهارة (قداسة)» (١تس ٤: ٤). لا سيما فى وجود الأولاد فى سن الشباب من الجنسين، حيث يكونون معرضين للعثرة.

وطهارة الأعماق تعنى أيضاً طهارة المشاعر من إنفعالات الغضب أو الغيرة أو التملك.. وهذه كلها سرائر لا يحكم فيها غير الإنسان نفسه، والله تعالى الذى يعرف النيات «ويدين سرائر الناس» (رو ٢: ٢٦).

لذا فالبيت المسيحى الطاهر يحرص كل فرد فيه على حساب النفس اليومى (١٠ دقائق قبل النوم أو باكراً جداً + نوتة وقلم + قراءة أصحاحات ٥، ٦، ٧ من إنجيل متى) لكى يدين كل فرد نفسه، ويحكم على نفسه... ثم يتصل بأب الإعتراف ليحدد ميعاد إعتراف (يا حبذا لو كان يوماً محدداً لكل الأسرة ويتابعها فى ذلك الأبوين) هناك أمام الله وكاهنه يفرغ كل فرد أعماقه ليخرج طاهراً بصلاة التحليل وينال ثباتاً جديداً فى سر التناول المقدس. وهكذا يجاهد كل أفراد البيت لطهارة أعماقهم.

وللتربية الجنسية السليمة دور رئيسى فى صيانة طهارة أفراد البيت المسيحى. لأن الجنس كالطعام والشراب واللباس.. فكما نعلم ونسلم أولادنا كيف يمسكون المعلقة وكيف يغسلون وجوههم ويلبسون ثيابهم.. كذلك أيضاً نسلمهم الخبرة الجنسية الصافية، والثقافة الجنسية الصحيحة هذا وغيره ينبغى أن يتسلمه الأولاد فى كافة مراحل عمرهم عن طريق الوالدين فى البيت... وفى سن مبكرة (من ٩ سنوات) يمكن لمعاونتكم فى هذا قراءة كتاب «ليعرف الصبى» الذى تحصلون عليه من مكتبة الكنيسة لتسلمونهم كل المعلومات الصحيحة بأسلوب رفيع وبسيط فى آن واحد. وإن عجز الوالدان عن ذلك فليلجأ إلى الكاهن القديس الذى يقوم بهذا الدور الهام.

ولصيانة طهارة كل أفراد البيت ينبغى أن يهتم كل واحد بوقت فراغ الآخر لتهيئة مسليات غير مضيعة للوقت بقدر ما تنمى ذكاء الكبار والصغار معاً. مع الحرص فى إستعمال كافة وسائل الإعلام لكى تستخدم فى النافع فقط.

وإن بدا هناك سقوط فى عفة وطهارة أحد أفراد البيت ينبغى أن يعالج لا أن يقتل. بالصبر والحكمة معاً، بالصلاة والصوم معاً، بالتوجيه الذى يحترم مشاعره ووجهة نظره مع دفعه لسر الإعتراف المقدس... والوقاية أخير ألف مرة من العلاج.. والعلاج دائماً يحتاج للزمن.. «وبالصبر تثمرون» طهراً.

الفصل الثالث

أمثلة لبيوت القديسين

+ بيت أبونا أيوب
+ بيت أبونا ابراهيم
+ بيت أبونا يعقوب
+ بيت داود النبى
+ بيت أرملة صرفة صيدا
+ بيت بوعز
+ بيت نعمى
+ بيت راعوث
+ بيت طوبيا
+ بيت زكريا
+ بيت لعازر ومريم ومرثا
+ بيت مار مرقس
+ بيت مار مينا
+ بيت القديسة دميانة
+ بيت أبونا ميخائيل
+ بيت أبونا بيشوى

٨ بيت أبونا أيوب

رجل مبارك وكامل ومستقيم (أى ١ : ١) ومع الغنى الذى أعطاه الرب إياه إلا أنه كان كل يوم يبكر إلى الله. وكما كان الكهنوت الآبائى يسمح لرب البيت بإقامة الذبائح كان عمله البكر يومياً هو إصعاد ذبيحة على عدد أولاده العشرة، وزوجته قالت «ربما أخطأ بنىّ وجدفوا على الله فى قلوبهم» (أى ١ : ٥). فالذبيحة تفدى وتكفر. **ما أعظم رب البيت الذى يفعل مثل أبونا أيوب يبكر إلى الله بذبيحة عقلية هى تسبيحه وصلاته عن جميع أفراد عائلته**، وذبائح قرابين يرفعها فى قداسات فى مناسبات ومواسم عن البيت كله: مثل بدء الدراسة، أو عند الخطبة والزواج، أو فى تذكارات الميلاد والزواج.

فالأب الذى يبكر إلى الله تبكر البركة إلى بيته وأولاده ونفسه أولاً.

إلا أن هذا العمل، مع كثرة الصلاح الذى كان يصنعه مع الأيتام والأرامل، حتى قال عن نفسه (أب أنا للفقراء) (أى ٢٩ :

١٦)، أسقطه فى خطية البر الذاتى فقد قال الكتاب أنه كان «باراً فى عينى نفسه» (أى ٣٢ : ١، ٣٣ : ٩). لذلك سمح الرب للشيطان، الذى كان يحسد نجاحه الروحى والمادى (أى ١ : ٩ ـ ٢٠)، أن يجربه حتى بالتجارب يتنقى، وفعلاً أفادته التجارب حتى رجع إلى نفسه معترفاً بإثمه «قد نطقت بما لم أفهم بعجائب فوقى لم أعرفها» (أى ٤٢ : ٣) وتذلل وندم وتاب جالساً فى التراب والرماد.

حسناً قال الرب «متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون لأننا عملنا ما كان يجب علينا» (لو ١٧ : ١٠) «إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات» (متى ٥ : ٢٠).

إن الأب الصالح يقف أمام الصالح وحده ويقول من يدك أخذت إذ أعطيتنى قوة لعمل الخير لكى أضعه تحت قدميك فإن سر تجارب كثيرة تعصف بيوت القديسين أنهم يظنون أحياناً أنهم بلا خطية.

أما زوجة أيوب التى كان عليها أن تقف معه معينة فى كل ظروف حياته فلما أتته التجارب ومست جسده بالقروح ضعفت جداً حتى تنكرت للرب وقالت لزوجها «دع الله ومت» (أى ٢ : ٩). ولكن أيوب البار نج جهالتها وردها بالتعليم القوى «ألخير

نقبل من عند الله والشر لا نقبل؟» **هنيئاً للزوجة التى يكون زوجها قوياً فى عشرته بالرب. فحينما تضعف يمسك بيدها حتى تقوى. ومبارك هو الزوج الذى يظل تسبيح الله ورضاه يملأ فمه وقلبه مهما لاقى من تعويق ممن كان عليها أن تعينه وتسنده.**

وخلال التجارب ظهرت أهمية الصداقة فى بيوت أولاد الله لقد أتاه أربعة أصدقاء ليفتقدوه. ثلاثة منهم «بكوا ومزق كل واحد جبته وذروا تراباً فوق رؤوسهم نحو السماء وقعدوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليال ولم يكلمه أحد بكلمة لأنهم رأوا أن كآبته كانت عظيمة جداً» (أى ٢ : ١١ ـ ١٣) وعندما تكلموا بكلام وعظ جرحوا مشاعر أيوب بالكلام الصعب حتى أنه قال لهم «معزون متعبون كلكم» (أى ١٦ : ٢).

أما الرابع فهو الذى صمت خلال أحاديث الآخرين وعندما تكلم فكلامه كان بتعقل وإتضاع إذ قال «اصبر علىّ قليلاً فأبدى لك أنه بعد لأجل الله كلام» (أى ٣٦ : ١) وفى نهاية حديثه تلاقى أيوب مع الله بالتوبة.

لذلك عندما رفع الرب وجه أيوب لم يطلب من هذا الرابع بل من الثلاثة الأول «أصعدوا محرقة لأجل أنفسكم وعبدى أيوب يصلى من أجلكم لأنى أرفع وجهه لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم لأنكم لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب» (أى ٤٢ : ٨).

ما أنفع الصداقة الروحية التى تواسى بكلام الله بيوت القديسين فى تجاربها.

أما الصداقات التى تضع على الجراحات خلاً فياليت القديسين يحترسون منها، لأن النسبة ستظل هكذا (٣ : ١) فقليلون من الأصدقاء ينفعون روحياً.

٩ بيت أبونا إبراهيم

بيت تأسس على طاعة الإيمان، وتصديق غير المرئى. «فذهب أبرام كما قال له الرب» (تك ١٢ : ٤). قدمها كل أفراده: إبراهيم، سارای، لوط إبن أخيه، وكل القنية التى لهما، وكل النفوس التى إمتلكا (العبيد).

ثم رؤى فيه المذبح دائماً. فى كل موضع كان ينزل إليه أو يقيم فيه كان يبنى مذبحاً للرب ويدعو بإسم الرب (تك ١٢ : ٧، ٨، ١٣ : ٤، ١٨)... والمذبح كان يعنى وجود ذبيحة، أى عطاء بسرور للرب لا يرجى منه غير تذكار الرب ودعوته ليبارك ونوال رضاه ومعونته.

أعطى نموذجاً حياً لبيوت الأغنياء «وكان أبرآم غنياً جداً فى المواشى والفضة والذهب» (تك ١٣ : ٢، ٢٤ : ١، ٣٥) لأن الغنى الذى يظن أن الغنى لنفسه دعاه السيد المسيح «غبى» (لو ١٢ : ٢٠)، أما الغنى الذى غناه ليس لنفسه بل لله فهو يمدح من الله والناس و«الصيت أفضل من الغنى» (أم ٢٢ : ١).

وتطبيقاً لذلك أعطى إبراهيم سلوك المؤمن مع أقاربه عند الإختلاف على أى متاع أرضى... فقد ترك لإبن أخيه حرية الإختيار وقبل هو برضى النصيب الآخر إنما أخذ معه رضى الله وبركته. كما أعطى سلوك العائلة المضيافة التى تكرم ضيوفها بسخاء، فمن أجل ثلاثة ذبح عجلاً مسمناً وصنع لهم بالزبد والسميد فطائراً. (راجع تك ١٣ : ٨ ـ ١٧، تك ١٨ : ٦ـ ١٨، عب ١٣ : ٢).

وبيت أبونا إبراهيم المبارك صورة حية للوفاء:

+ **الوفاء لله مهما كانت التكلفة:** لقد أمتحن إبراهيم فى وحيده إسحق فأعطى نموذجاً للذى يضع الله أولاً ويختاره قبل أغلى ما عنده أى أولاده.

+ **الوفاء بعضهم لبعض:** لقد ماتت سارة قبل إبراهيم فإشترى لها حقلاً به مغارة دفنها فيها، ويحيط بها أشجار، وظل على عهده ووفائه لها حتى بعد موتها. ولم يتزوج إبراهيم زوجته الثانية قطورة إلا لأجل خدمة شيخوخته وبعد أن زوج إبنه إسحق برفقة وأراح قلبه «فتعزى إسحق بعد موت أمه» (تك ٢٤ : ٦٧).

ولم يخل هذا البيت من ضعفات ذكرها الكتاب المقدس بوضوح لكى يؤكد أن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله. وأن قياس القداسة لا يأتى من موقف أو أكثر إنما بحساب مجمل حياة أصحابها.

+ لقد تعرض هذا البيت لخطية ضعف الإيمان الشك (تك ١٦ : ١ ـ ١٦). عندما طلبت سارة من إبراهيم أن يدخل على هاجر عبدتها ليقيم نسلاً، ووافقها إبراهيم على ذلك مع علم كليهما بصدق مواعيد الرب الذى وعد أن من صلب إبراهيم يقيم النسل. ولم تمر هذه الضعفة بدون عقاب وآثار. لقد مرت فترة إضطراب فى البيت، حرمت بعده العائلة من هاجر وإبنها. كما ظهر من نسل هذا الإبن أمة العرب...

+ كما تعرض هذا البيت لخطية الكذب. (تك ١٢ : ١٠ ـ ٢٠) وكانت هذه الخطية بقصد أيضاً إنما بتدبير إبراهيم هذه المرة وموافقة سارة عليها. إذ نزل إلى مصر فى زمن الجوع وخاف على سارة لجمالها الجسدى فقال لها أن تقول أنها أخته، وبسبب ذلك مر بالبيت إضطراب أيضاً عندما أخذها فرعون كزوجة. حتى تدخل الرب الذى هو سبب وأساس زواجهما وخلصها من بيت فرعون وأعادها إلى إبراهيم مع هدايا.

حقاً «لا سلام قال الرب للأشرار» (إش ٤٨ : ٢٢).. وكل إضطراب فى بيوتنا يستتر وراءه خطية... فلنأخذ درساً ونتحذر.. إن كان ببيت إبراهيم ضعف، فكيف تكون بيوتنا لولا مراحم الرب علينا ومعونته وغفرانه؟!!..

مخافة الرب أول الحكمة، والإيمان أول الاتصال به

«سيراخ ٢٥ : ١٦»

١٠ بيت أبونا يعقوب

بيت تأسس بالعاطفة الجسدية (تك ٢٩ : ٩ ـ ٣٥). إذ رغب يعقوب الزواج براحيل. تعرض للخداع، إذ تزوج لا إمرأة واحدة بل إثنتين بعد ضياع ١٤ سنة من عمره عملاً متواصلاً كراعى غنم. وقد أعطاه الرب درساً: فغير المحبوبة ولدت عشر بنين، بينما المحبوبة كانت عاقراً ولولا تدخل الله (تك ٣٠ : ٢٢ ـ ٢٤) لما أعطاها إبنان فقط.

فتأسيس البيت المسيحى ينبغى أن يقوم على الله الذى يزوج البشر والذى يعطى الرجل المتكل عليه بإستقامة «الزوجة المتعقلة» كما يعطى المرأة المتكلة عليه الرجل المستقيم. أما العاطفة الجسدية فقد ثبت أن معظم السائرين وراءها فى الزواج يفشلون أو يعوقون.

ظهرت فى هذا البيت الغيرة الرديئة بكل صورها:

+ غيرة الزوجتين من بعضهما. (تك ٣٠ : ١) مما أثار غضب

يعقوب وأسقطه فى خطأ جده إبراهيم بالدخول إلى جاريته «بلهه».

+ غيرة الأبناء الكبار من أخيهم الصغير يوسف بسبب أسلوب التمييز فى المعاملة الذى إنتهجه يعقوب مع أولاده. وما أصاب يوسف من أهوال بسبب هذه الغيرة.

حقاً إن دخول الغيرة الرديئة والمرة فى البيت تفسده وتحوله إلى صراع وإنقسام وخسائر دائمة فى الأرواح والممتلكات معاً.

وظهر فى هذا البيت أيضاً الخداع بكل مراحله:

+ فيعقوب الإبن خدع أبيه إسحق ونال بركة البكورية بخدعة.

+ ويعقوب الزوج خدعه لابان فى زواجه، مع أنه خاله. لقد عاونته أمه فى خداع أبيه فإستخدم الله أخوها ليخدع إبنها.

+ ويعقوب الزوج خدع لابان، عندما هرب وكل ما كان له مع زوجته، إلى جبل جلعاد (تك ٣١: ٢٠).

+ لذا فيعقوب الأب خدع من أولاده عندما قالوا له عن يوسف أن ذئباً إفترسه وكانوا هم قد ألقوه فى بئر حسداً.

حقاً ما أعجب أعمال الله؟!! إننا نخدع أطفالنا بمعلومات غير صحيحة أو مبتورة، فيخدعوننا هم فى كبرهم بتصرفات تتم دون علم الآباء... وهكذا فإن الأمانة فى التربية والحياة كلها ستر وبركة

حقيقية. يقول الكتاب: «الرجل الأمين كثير البركات» (أم ٢٨: ٢٠)، «كما فعلت يفعل بك عملك يرتد على رأسك» (عوبديا ١٥).

إلا أننا لا ننسى صورة مشرقة فى هذا البيت المبارك (الذى باركه الرب رغم كل ما عنينا بدراسة حوله فى البنود الثلاثة السابقة)... عندما قدر يعقوب العودة إلى أرض آبائه كأمر الرب له (تك ٣١: ٣)، إنه فاتح زوجتيه فى هذا الأمر وأخذ مشورتهم ورأيهم. لم يكن ديكتاتوراً مع زوجتيه، إنما طلب رأيهما فى البقاء أو الرحيل...

كما أظهرتا كل من ليئة وراحيل صورة مشرقة فى قبولهما كلام الرب « كل ما قاله لك الله إفعل» (تك ٣١: ١٦) مفضلتين الرحيل معه أينما ذهب عن إقتناع مسبب أعلناه وليس لمجرد الخضوع أو الخوف ورحلا فعلاً معه.

صورة مشرقة جداً يعقوب يجاهد ليطيع الله ويكاشف زوجتيه، فتختاران طاعة الله عن إقتناع وحب وتقدير.. كانت بدايات البيت صعبة، لكن بسبب هذه الطاعة لله من الجميع أخيراً صار بيت يعقوب هو أسباط إسرائيل الإثنى عشر: بيت البركة للأجيال كلها.

لا يضيع الرب صبر التقي
«سيراخ ١٦: ١٤»

https://coptic-treasures.com/

(١١) بيت داود النبى

مع أن هذا البيت بيت ملك وكاهن ونبى محبوب لدى الرب، نواياه كانت طيبة ونقية وشهد له الرب أنه بحسب قلبه يفعل كل مشيئته... برغم كونه مرتلاً عظيماً للتسبيح إستشهد ربنا يسوع بالمزامير فى أحاديثه (لو ٢٠ : ٤٢، ٢٤ : ٤٤)... إلا أن بيت داود عاش فى صراع مرير وطويل مع بيت شاول (٢صم ٣ : ١). ولأنه إختار الله فى كل مواقف عداوته وكان يخاف الله حتى مع مضايقيه وقف الرب معه فى هذا الصراع حتى شهد له: «كان داود يذهب يتقوى وبيت شاول يذهب يضعف» (٢صم ٣ : ١) حقاً قول الكتاب «أما بيت الصديقين فيثبت» (أم ١٢ : ٧).

هو مثال لبيت القديسين الذى يتعرض للعداوة، فيختار الرب ووصاياه ويخشاه فيقف الرب معه ويقويه بينما يضعف مقاوميه.

بسبب هذا الصراع سقط دم كثير بيدى داود رب البيت، وكان هذا الدم عقبة أمام داود منعته من بركة بناء بيت الرب (١أى ٢٣ :

٨) الذى كان يحبه جداً ويهوى الجلوس حتى على عتبته. لذلك لم ييأس داود، ولم يخاصم الرب الذى كان يعرف قلبه.. بل ذخر كل إمكانياته وأعد كل شيء لبناء بيت الرب الإله «وقال داود إن سليمان إبنى صغير وغض والبيت الذى يبنى للرب يكون عظيماً جداً فى الإسم والمجد فى جميع الأراضى فأنا أهيىء له. فهيأ داود كثيراً قبل وفاته» (١أى ٢٢ : ٥).

ومع هذا الإعداد أوصى إبنه وزوده بكل التفاصيل.

وعلاوة على القتل الذى دخل هذا البيت دخل الزنا أيضاً.. لقد زنى الأب (٢صم ١١ : ٢ ـ ٥) وأنجب ثمرة زنا ولمحبته للرب ذكره الرب بخادم للتوبة فتاب، إلا أن الرب حرمه من ثمرة الزنا بالموت...

وإستمر الزنا فى البيت:

+ لقد أخذت ميكال زوجته منه لفلطئيل بن لايش ولم يستردها إلا بعد صراع (١صم ٢٥ : ٤٤، ٢صم ٣ : ١٤، ١٥).

+ أما إبنه أبشالوم فقد أقام خيمة على السطح وزنى قدام جميع إسرائيل وفى هج الشمس مع سرارى أبيه (٢صم ١٢ : ١٢ + ١٦ : ٢٢).

+ وزوجتاه أخينوعم اليزرعيلية وأبيجايل الكرملية سباهما عماليق ولم يستردهما داود إلا بعد صراع أيضاً (٢صم ٣٠ : ٥، ١٧، ١٨).

+ ومع أن كان له عشرون إبنا منهم بنتاً واحدة هى ثامار (راجع

١أى ٣ : ١ ـ ٩)، إلا أن هذه الوحيدة زنى معها أخوها أمنون قهراً (٢صم ١٣ : ١ ـ ١٤).

إن دخول الزنا إلى بيت، مثله مثل دخول السوس فى الخشب: يظل ينخر حتى الأساس. ما أرهب هذا الدرس، ليعلمنا أن نحفظ طهارتنا لكى يتبارك أولادنا بميراثها العظيم. والتوبة والإعتراف أمام الكاهن بإستمرار هما مفتاح البيت الطاهر لجميع أفراده.

إلا أن هذا البيت يعلمنا كيف نواجه عقاب خطايانا: فقد مرض إبن الزنا فكان أسلوب داود عبد الله التائب هو الصوم والتذلل بالجلوس فى الرماد والصلاة برجاء أن الله يرحمه «ويحيا الولد».

ولما مات الصبى «**قام عن الأرض وإغتسل وإدهن وبدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد ثم جاء إلى بيته وطلب فوضعوا له خبزاً فأكل**».. وفسر تصرفه هذا بقوله «والآن قد مات فلماذا أصوم. هل أقدر أن أرده بعد؟ أنا ذاهب إليه وأما هو فلا يرجع إلىّ» (٢صم ١٢ : ٢٠، ٢٣) فى المرض تذلل وصام، وفى الموت قام وغسل بل وأدهن (وضع دهوناً وروائحاً، وغير ثيابه ودخل للسجود أمام الله فى بيته ثم رجع إلى داره وبفمه طلب الطعام ليأكل.

يا أبينا العظيم داود المرتل إشفع فى بيوتنا لكى نستقبل المرض والموت مثلما إستقبلتهما أنت يا حبيب الرب.

(١٢) بيت أرملة صرفة صيدا

ظروف هذا البيت كلها تشير إلى الفقر. فقد سمعنا فيه عن أرملة مات عائلها. وإبن وحيد صغير غير قادر على الكسب. وموسم جفاف لا طل فيه ولا مطر قاد إلى مجاعة ومع ذلك فقد رأينا فى هذا البيت غنى حقيقى.

فهذه الأرملة، صارت مختارة. قال الرب لإيليا النبى «هوذا قد أمرت هناك إمرأة أرملة أن تعولك» (١مل ١٧ : ٩). ولكن إختيارها لم يلغ حريتها فى التعبير عندما صارحت إيليا بإمكانياتها الفعلية... وكانت هذه المصارحة أشبه بقول أمنا العذراء للملاك «كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً» إذ لما أوضح لها إيليا البركة إختارت الطاعة لإختيار الله لها... وشهد لها الكتاب بأنها «فعلت حسب قول إيليا».

وبهذا الإختيار والطاعة إمتلأ البيت بالبركة وإمتلأت من الأجيال تطويباً. حقاً قول الكتاب «أما إختار الله فقراء هذا العالم أغنياء فى الإيمان» (يع ٢ : ٥).

ومع أنها أرملة ومختارة، إلا أنها كانت عاملة إذ كانت فى باب المدينة «هناك تقش عيداناً» (١مل ١٧ : ١٠) فى مدينة صرفة صيدا - وقش العيدان كان عملاً للفقراء لا يكلفهم سوى الجهد البدنى والسعى لجمع أكبر ما يمكن جمعه من القش ثم عرضه للبيع على الذين عندهم أفران أو مواقيد الأغنياء (الكوانين) ليعيشوا بما يحصلون عليه... فالعمل - بعد الله - هو الأمن للفقراء، «ومن لا يشتغل لا يأكل» كقول الكتاب.

وعملها فى قش العيدان يدل على أنها أرملة حكيمة. كما يدل عليه أيضاً عدم تفاخرها إذ «لم ترتىء فوق ما ينبغى أن ترتىء» بل إختارت التعقل... الذى أعطاها شجاعة الصراحة بما عندها «ملء كف من الدقيق فى الكوار، وقليل من الزيت فى الكوز». ومنطق الواقعية أيضاً «أعمله لى ولإبنى لنأكله». **فالحكيم هو الذى لا يخجل من فقر إمكانياته أو ضعف قدراته بل يعترف بها بدون خجل أو حياء. إنما يطرح ضعفه وفقره أمام القادر أن «يفقر ويغنى». على أن لا يستضعف عندما يختار الرب فقره، بل يقدم كل ما لديه للرب وأولاً أيضاً.** «أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين» (لو ١ : ٥٣). وهذه هى الحكمة الروحية التى بحسب مشيئة الله لا بفلسفة الناس.

أما الإبن الوحيد فهو بحسب التقليد يونان النبى، مرض مرضاً شديداً «حتى لم يبق فيه نسمة» (١مل ١٧ : ١٧). لكن مرضه

أظهر حساسية الأرملة للخطية وإستعدادها الكبير لإلتقاط إشارات الله السماوية المبلغة فى المرض. لقد كانت أول ما نطقت به لإيليا «هل جئت إلىّ لتذكير إثمى وإماتة إبنى»!.. لقد شعرت أن لها خطية وتستحق العقاب ولم تقابل المرض بدون فهم روحى. حقاً عيناها فى رأسها فأبصرت ببصيرة روحية مقاصد الله فى المرض، إذ لم يمت الولد بل عاش ومجدت هى الله قائلة لإيليا «إن كلام الرب فى فمك حق» (١مل ١٧ : ٢٤).

وهذا البيت أعطانا درساً فى معاونة القديسين لإتمام مشيئة الله بهم. لقد كان البيت فقيراً، والظروف فقيرة. ولكن كانت تسكنه قلوب قديسين آمنت وإختبرت الرب. **فكم من فقراء فى عيون الناس عاونوا خدام الله معاونات لم يقدمها الأغنياء أو ذوى المناصب إذ كانوا بغناهم فى خبرة الله قادرين على خدمة قديسيه.**

وأنت يا عزيزى: مهما كان فقر إمكانياتك، تستطيع أن تسهم فى عمل الله ومع رجال الله... يكفى أن تصلى من أجلهم وعملهم، وهذا عمل يحتاجه رجال الله فى كل زمان.. وأحتاجه أنا أيضاً... ليتك تصلى الآن من أجلى.

الرحيم يحيى إلى نفسه

«أم ١١ : ١٧»

(١٣) بيت بوعز

هذا البيت أعطانا فكرة عن أسلوب رب البيت فى العمل **فليس معنى وجود صاحب عمل أنه يتعالى على العمال، وليس معنى ضرورة وجود رئيس أن يكون غير خائف لله مع مرؤوسيه.** أما بوعز المبارك هذا فأول كلمة جاءت عنه فى الكتاب المقدس أنه عند مروره على الحصادين فى الحقل هى قوله لهم «الرب معكم» (را ٢ : ٤) وكان من الطبيعى أن نسمع من أفواه الحصادين له «يباركك الرب». **إن دخول الله فى العمل لا يفسده إنما يباركه، ودخول الله فى العمل بواسطة صاحب العمل سيزيده كرامة لا يضعفه أو يقلل فرص كسبه ونجاحه. فالحياة مع الله لا تتجزأ، والعمل جزء من الحياة.**

وعرف بوعز من رئيس عماله بوجود فتاة غريبة تلتقط قمحاً وشعيراً، فكان قلبه مملوء رحمة. إذ دعاها أن لا تذهب لحقل غيره حتى نهاية الحصاد كما دعاها لملازمة فتياته فى العمل وأوصى عليها الرئيس والحصادين أن يعطوها لا اللقيط فقط بل من الشمائل

ينسلون ويعطوها، وعند وقت الأكل قال لها «تقدمى إلىّ ههنا وكلى من الخبز وإغمسى لقمتك فى الخل» ثم ناولها «فريكاً» (أى سنابل مشوية) فأكلت وشبعت وفضل عنها (را ٢ : ١٤).

إن الرحمة التى صنعها بوعز مع غريبة، رجعت إليه بزوجة ملآنة رحمة. حقاً قول الكتاب «الرحيم يحسن إلى نفسه» (أم ١١ : ١٧).

وعندما وجد راعوث تحت رجليه فى الظلام، لم يفكر الشر فيها ولم يصنع الشر بنفسه مع أن كل الظروف كانت تهيىء له. لكنه كان بفكر نقى إذ إمتدح صنيع الأرملة الشابة وباركها من الله لأنها لم تسعى وراء الشبان، وطمأن قلبها، وكافأها إذ قال «هاتى الرداء الذى عليك وأمسكيه فأمسكته فإكتال ستة من الشعير ووضعها عليه» «لا تجيىء فارغة إلى حماتك» (را ٣ : ١٥، ١٧) ثم شيعها فى الصباح الباكر وستر موقفها إذ أمر «لا يعلم أن المرأة جاءت إلى البيدر».

أما هو فصنع بنفسه خير عظيم إذ إختار طاعة الله لا هواه ولا الظروف. فقد علمها بتأدب ما تقوله الشريعة «بحق الولى» الذى كان يقضى بأن يقوم أخى الزوج أو أقرب ولى بواجب الزوج للزوجة المتوفى زوجها ليقيم بإسمه نسلاً له (راجع تث ٢٥ : ٥ ـ ١٠) ولم يقترب من راعوث كزوجة إلا بعد أن حقق كلام الله مع الولى الأقرب أمام عشرة رجال من شيوخ الشعب.

هذا هو الرجل الطاهر الذى يختار طاعة الله ووصاياه فى كل المواقف فيتقدس الله فى حياته وعيون الآخرين.

وهكذا دخلت راعوث بيت هذا الطاهر العظيم ومعها دعاء شيوخ الشعب «ليجعل الرب المرأة الداخلة إلى بيتك كراحيل وليئة اللتين بنتا بيت إسرائيل.. وليكن بيتك كبيت فارص الذى ولدته ثامار ليهوذا من النسل الذى يعطيك الرب من هذه الفتاة» (را ٤: ١١، ١٢) فلم يدخلوها غواية، ولا إستعطاف، ولا شهوة.. إنما بطاعة الله وطهارة النية لكليهما، والرحمة التى ملأت قلبيهما: هى تجاه حماتها، وهو تجاه فتاة غريبة، وبركة شيوخ الشعب أى الكنيسة وقادتها.

فالبيوت التى تبنى بالهوى والغواية هى أيضاً تهوى سريعاً وتخرب، **أما التى تبنى بالرحمة والطهارة فهى أيضاً تثبت من جيل لجيل ويكون ذكرها للبركة.** والبيوت التى تبنى فى الظلام أو من وراء لا يسكنها إلا الخفافيش أما التى تبنى فى النور وببركة رضا الوالدين وآباء الكنيسة فيسكنها المسيح وقديسيه وأجيال من الجبابرة العظام. لقد صار بوعز بإبن راعوث جداً لداود العظيم، ولربنا يسوع المسيح بالجسد!

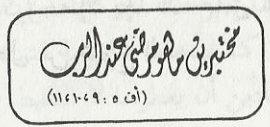

١٤ بيت نعمى

هذه أرملة مات زوجها فى أرض غريبة، وترك لها إبنان فأوقفت نفسها لكى ترعاهما وتربيهما حتى زوجتهما زوجتين ليسوا من شعبها ولا يعرفوا إلهها. فقد كانت أم واقعية.

ولما مات ولديها أيضاً فى الأرض الغريبة، فى وقت سمعت فيه عودة بنى إسرائيل من السبى إلى أورشليم، قررت أن ترجع إلى أرضها لا تعلقاً بالأرض والأهل إنما محبة فى الرب إلهها الذى كانت تريد أن تعبده. فقد كانت عبدة وفية لإلهها.

لكنها لم تكن إلا أم حقيقية لزوجتا إبنيها، تعرف مشاعر تعلقهما بالأهل وآلهة موآب. لذا عرضت أمامهما قرارها بكل أمومة، ومع أنهما خرجا فعلاً معها وسارا إلا أن أمومتها عاودت العرض ثانية ومع بركة رضاها «أرجعا كل واحدة إلى بيت أمها وليصنع الرب معكما إحساناً كما صنعتما بالموتى وبى وليعطيكما الرب أن تجدا راحة كل واحدة فى بيت رجلها» (را ١ : ٨، ٩)

لكنهما قابلا كلامها بالبكاء والنحيب والإصرار على الرحيل معها. إلا أن أمومتها أعادت لثالث مرة الكلام معهما مع إيضاح رضاها على زواجهما بأى رجل فى موآب دون إنتظار لأن تتزوج نعمى وتحبل وتلد ثم يتزوجا بعد الإنتظار قائلة «هل تصبران لهم حتى يكبروا؟ هل تنحجزان من أجلهم عن أن تكونا لرجل؟ لا يا بنتى فإنى مغمومة جداً من أجلكما لأن يد الرب قد خرجت علىّ» (را ١ : ١٣).

أنظروا هذه الأمومة الحقيقية التى تقدر حاجة الشابة إلى رجل وإلحاحها فى العرض عليهما بالرجوع والزواج مع رضى ودعاء. لا مع ضيق أو تبرم أو مذمة. إن نعمى كانت أماً حقيقية أيضاً.

ولما أصرت إحداهما على المضى معها، قبلت مرافقتها... ولما وصلت إلى أرض يهوذا وعرضت عليها أن تعمل فى إلتقاط سنابل الشعير والقمح المتبقية من حصاد الحصادين كأحد الأعمال التى كانت تجيز الشريعة للفقير عملها، وافقتها.

لكنها فى هذا كله كانت لها علاقة قوية بالرب. أرجعت كل ما يمر بحياتها إلى الرب ولم تلعن الظروف ولا الأحداث «الرب قد أذلنى والقدير كسرنى»، «مبارك هو من الرب لأنه لم يترك المعروف مع الأحياء والموتى» (را ١ : ٢١، ٢ : ٢٠).

وفى تحسن ظروف معيشتها، لم تنس زوجة إبنها الشابة المترملة

التى إختـارتها هـى وإلهها لتحيا معها... كانت تقول «يا بنتى ألا ألتمس لك راحة ليكون لك خير؟!». كان جوهر تفكيرها لا راحتها هى بملازمة الفتاة لها، بل راحة الفتاة فى بيت رجل وأولاد. كان تفكيرها حب.

وكانت نصائحها دائماً صلاح ووفق الشريعة. فعندما طُلب من زوجة إبنها من رب الحقل أن تلازم فتياته فى الحصاد، نصحتها بالموافقة وشجعتها على ذلك وعندما عرفت من هو رب الحقل أنه بوعز ثان ولى لها حسب الشريعة (راجع تث ٢٥: ٥ ـ ١٠) نصحتها بما تمليه الشريعة لمثل حالتها.

وعندما صار لزوجة إبنها رجل، وأنجبت منه إبناً. فرحت لها نعمى جداً حتى قال الكتاب «فأخذت نعمى الولد ووضعته فى حضنها وصارت له مربية» (را ٤: ١٦) إنها لم تتنكر لأمومتها حتى فى زمن الشيخوخة.

لذلك كافىء الرب هذه الحماة الأم «فقالت النساء لنعمى مبارك الرب الذى لم يعدمك ولياً اليوم لكى يدعى إسمه فى إسرائيل ويكون لك لإرجاع نفس وإعالة شيبتك. لأن كنتك التى أحبته قد ولدته وهى خير لك من سبعة بنين» (را ٤: ١٤، ١٥) حقاً إن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد.

الرب حافظ البسطاء

مز ١١٦: ٦

١٥ بيت راعوث

هذا البيت بدأ بزوج يهودى وزوجة أممية هى راعوث الموآبية. إذ كان فى أرض غريبة يسكن الزوج وأخيه وأمه وعاشت مع زوجها وعائلته عشر سنوات، تعرضت بعدها للترمل مع سلفتها أيضاً. فلم يكن سكناها مجرد إستعمال مصلحة، لكنه كان عشرة وفية كلها إحسان وإخلاص لزوجها وعائلته. وقد ظهر هذا الوفاء بعد وفاة رجلها بصورة أقوى.

إذ كانت ملآنة حنان تجاه حماتها، التى قررت السفر والرحيل إلى بلاد غير بلادها التى نشأت وتربت وتأقلمت عليها كما كانت أصيلة لزوجها إذ رأت فى أمه مجالاً مواتياً للتعبير عن حبها له وإخلاصها لعشرته فى صورة أمه الأرملة ورغم أمومة حماتها معها إلا أنها عبرت عن هذا الحنان وهذه الأصالة فى عبارات نور تدل على قلبها وعقلها المستضىء إذ قالت لحماتها «لا تلحى علىّ أن أتركك وأرجع عنك، لأنه حيثما ذهبت أذهب، وحيثما بت أبيت، شعبك شعبى، **والهك إلهى، حيثما مت أموت وهناك أندفن**. هكذا

يفعل الرب بى وهكذا يزيد إنما الموت يفصل بينى وبينك» (را ١ : ١٦، ١٧).

كلام لا يدل على مجاملة إنما يدل على جوهر نقى ملآن حنان ورحمة وأصالة.

مثل هذا التصرف من زوجة شابة مترملة مع حماتها هو فى الحقيقة مصباح موضوع على منارة يضىء.. يستضىء بنوره الأجيال ويصبح قدوة صامتة حتى للذين لا تعرفهم. لقد حدث أنها إلتقت ببوعز لكنه قال لها «قد أخبرت بكل ما فعلت بحماتك بعد موت رجلك حتى تركت أباك وأمك وأرض مولدك وسرت إلى شعب لم تعرفيه من قبل. ليكافىء الرب عملك، وليكن أجرك كاملاً من عند الرب إله إسرائيل الذى جئت لكى تحتمى تحت جناحيه» (را ٢ : ١١، ١٢).

صارت أهلاً للبركة، بعد أن صارت نموذجاً للقدوة.

ولما وجدت نفسها فى الأرض الغريبة لم تلجأ إلا للعمل الشريف، بعد أن شاورت حماتها أيضاً وإحترمت كلامها. لم تفكر فى زواج، ولا فى نفسها، بل فى إعالة حماتها.. وكانت تعمل بتعب «فجاءت ومكثت من الصباح إلى الآن، قليلاً ما لبثت فى البيت» (را ٢ : ٧) «فإلتقطت فى الحقل إلى المساء حتى أنها فى يوم واحد إلتقطت نحو إيفة شعير» (را ٢ : ١٧).

لذلك أعطاها الرب فى عملها المكافأة، قبول صاحب الحقل لها بكرامة بل وعزز موقفها أمام الحصادين، وسمح لها بمرافقة فتيانه فى الحصاد، بل ودعاها للطعام والشراب مع عبيده... حتى أن راعوث فاضت مشاعرها قائلة «لأنك عزيتنى وطيبت قلب جاريتك» (را ٢ : ١٣). نعم لقد كافأ الرب تعبها لأنها بمحبة كانت تصنع لأجل حماتها (را ٢ : ١٨، ٢٣).

وعندما نصحتها حماتها نصيحة تتفق مع الشريعة، لم تفكر فى الشباب أو الأغنياء. لقد كانت طاهرة حقاً بل «عملت حسب كل ما أمرتها به حماتها» (را ٣ : ٦). لذا نالت بركة أخرى من فم بوعز «إنك مباركة من الرب يا بنتى لأنك قد أحسنت معروفك فى الأخير أكثر من الأول إذ لم تسعى وراء الشبان فقراء كانوا أو أغنياء» (را ٣ : ١٠).

لذلك شهد لها أنها إمرأة فاضلة فى جميع بيوت يهوذا (را ٣ : ١١) لأن زواجها ببوعز الرجل الشيخ لم يكن لشهوة، ولا بطلب منها، ولا للزواج نفسه إنما كان ثمرة طاعة مشورتها لحماتها التى رافقتها بإخلاص بعد موت زوجها. ولذا صارت هذه الزوجة الأممية من جدات ربنا يسوع المسيح بالجسد ودخلت بمحبتها فى سلسلة أنساب إبن الله وصارت رمزاً لكنيسة الأمم التى صار لها فى المسيح ميراثاً فى ملكوته الأبدى.

١٦ بيت طوبيا

الأب فى هذا البيت معلم. يعلم إبنه إكرام والدته جميع أيام حياتها (٤ : ٣ ـ ٥)، وجعل الله أولاً فى قلبه (٤ : ٦)، وألا يرضى بالخطية وكسر وصايا الله، وأن يمارس العطاء على قدر الطاقة إنما بطيب قلب (٤ : ٧ ـ ١٢) وأن يكون متواضعاً (٤ : ١٤)، وأن يكافىء الأجير العامل عنده ولا يظلمه (٤ : ١٥)، وأن لا يعامل الناس بما يكره أن يفعل به (٤ : ١٦)، وأن يطلب مشورة الله فى الحكماء (٤ : ١٩، ٢٠)، وأن يرضى بعيشة الفقراء السعيدة (٤ : ٢٣)، ما أعظم هذا الأب المعلم إذ لم يكن تعليمه مجرد كلام بل هو ثمر إيمان سكن قلبه بأن الملاك يرافق إبنه (١٥ : ٢١ ـ ٢٧)، لذلك عندما رجع إبنه إليه سجد للرب وقدم ذبيحة الإيمان بشكر (١١ : ١٢).

أما الأم فى هـذا البيت فهى محـبة حتى لإبن شيخوختها (٥ : ٤، ٢٥)... حينما يوهن الجسد وتضعف القوة وتصر هى على عطاء الحب والتعب لإبن شيخوختها.

وتم زواج فى هذا البيت، بعد عدة زيجات كانت نهايتها جميعاً واحدة فى الحزن... فكانت هذه الزيجة مثال بيوت القديسين:

فعند الزواج كانت هناك ثلاثة أيام الزواج الأولى مخصصة للصلاة والصوم صامها الزوجان والأهل (٦: ١٨، ٨: ٤، ٦). وبدأت المعاشرة الجنسية بين الزوجين فى اليوم الثالث وهو ما يشير به جميع العلماء والحكماء المختبرين فى عالم اليوم، حيث يهدأ الجسد ويتزن وحيث تهدأ العاطفة ويهرب الخوف والإضطراب. وعندما بدأت المعاشرة الجنسية لم يكن هدفها الشهوة، لأن الشهوة هى الصورة المضطربة للحب، إنما المحبة التى هى الصورة المنظمة للحب: لأجل البنين (٦: ٢٢، ٨: ٩). حقاً إن الزواج والمعاشرة الجنسية فيه صيانة من التحرق، إنما هو ليس جواز مرور للشهوة بل لكمال الضبط والإتزان.

كما ظهرت فى هذه الزيجة مبادىء هامة: صلاة من أجل العروسين بعدما يمسك راعوئيل يد الزوج ويضعها فى يمين الزوجة، وهو ما تقنن فى الكنيسة إلى صلاة الإكليل. فنحن لا نعرف زواجاً بدون صلاة يرفعها كاهن رسولى. علاوة على الصلاة فقد كتبوا عقد للزواج (٧: ١٦)، وهو ما يؤكد أن تحرير العقود الدينية والمدنية للزواج أمر قديم وليس مستحدث، إثباتاً لواقعة ولحقوق. كما أقاموا بعد ذلك ولائم محبة (٧: ١٧) وكانت وليمة هذا العرس بخوف الله (٩: ١٢) حتى المهنئون فى هذا العرس كانوا ينطقون بكلام

الله (٩: ٩ ـ ١١).

وبعد الوليمة التى كانت فى بيت الوالدين كان هناك مخدع آخر للزوجية (٧: ١٨)، وهو تأكيد لوصية الرب «يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته»، أى ترك من جهة مكان السكنى والمعيشة والتدبير لا من جهة الحب أو الإعالة.

وقد كان هذا كله تعبيراً عن أن زواج القديسين لا ينبغى أن يكون على شاكلة زواج غير المؤمنين ولا بهم. «لا ينبغى أن نقترن إقتران الأمم» (٨: ٥).

لهذا سمعنا أبوى العروس فى هذا الزواج يوصيانها بإكرام حمويها، ومحبة زوجها، وتدبير أولادها، وبيتها، وحفظ نفسها بلا ملامة (١٠: ١٣).

كانت ثمرة هذا الزواج المبارك ذرية تعيش عيشة صالحة بسيرة مقدسة فيها إرضاء لله وللناس «جميع سكان الأرض» (١٤: ١٧). فالبيوت الصالحة بذرة تحصد ملايين من بيوت صالحة فى أجيال صالحة متعاقبة.

١٧ بيت زكريا

مثال للبيت المكرس للرب: الكل فيه ممتلؤون من الروح القدس. الأب كاهن إمتلأ من الروح القدس وتنبأ (لو ١ : ٦٧) والأم إمرأة بارة إمتلأت من الروح القدس وصرخت بتطويب أمنا العذراء (لو ١ : ٤١) والإبن نبى بتول من بطن أمه إمتلأ من الروح القدس (لو ١ : ٤١).

أما الأب فكان كاهن أمين فى خدمته، وصل إلى حد الشيوخ ولم يكن له ولد، مع أنه كان يصلى لأجل ذلك (لو ١ : ١٣) لذلك أرسل الله إليه فى الوقت المناسب (تقدم أيامه وزوجته) والظروف غير الممكنة (زوجته العاقر) جبرائيل رئيس الملائكة ببشارة ميلاد الإبن الذى قال عنه ربنا يسوع «الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان» (مت ١١ : ١١). إن حرمان كاهن تقى وأمين من لذة البنوة حتى الشيخوخة لم يكن إلا إحكام للحلقات الإلهية الدائمة عملها فى كل جيل لكى يستخدمه الرب لإتمام مقاصد سامية بأساليب معجزية وفى إستحالة إمكانيات البشر.

ومع تقوى هذا الأب الكاهن، لكن مجرد تساؤل فيه ضعف للإيمان «كيف أعلم هذا؟ لأنى أنا شيخ وإمرأتى متقدمة فى أيامها؟» (لو ١ : ١٨) جعله يواجه عقوبة الخرس تسعة أشهر. ومع أن أمنا العذراء قد سألت الملاك سؤال مشابه أيضاً: «كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟» (لو ١ : ٣٤) إلا أنها قوبلت من الملاك بالشرح والتفسير. فإن فتاة الإثنى عشر من عمرها لا يتكافىء مع تقدم أيام شيخ تقى عارف بالوصايا والشرائع. لم تشفع فيه خدمة السنين ولم يحميه الكهنوت. هكذا كان هو العقاب الصارم مع الشخيوخة المسئولة عن الشريعة! **إن التأديب الإلهى يُلحظ فى بيوت القديسين بجلاء، وهو علامة صحة إيمان ويعطى للذين يفهمون مغزاه «ثمر بر».**

وأجمل ما قيل عن حياة هذا الأب البار «ولما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته» (لو ١ : ٢٣) **فالذهاب إلى البيت يأتى بعد إتمام وإكمال مقتضيات خدمة الله، وهذا رجاء الآباء القديسين المجاهدين عندما يرى الله أنهم أكملوا يسمح لهم بالمضى إلى البيت الأبدى المشتاقين إليه كل زمان غربتهم على الأرض.**

آمين يا ربى يسوع إجعل لى نصيب فى بيتك الأبدى مع كل آبائى القديسين.

أما الزوجة القديسة فكانت تخفى نبأ الحمل خمسة أشهر،

فلم تذع النبأ فى تفاهة، بل أخفت المعجزة حتى تأكدت (لو ١ : ٢٥).

كانت زائرتها القديسة الطاهرة مريم، وفى الزيارة لم نسمع إلا تطويب للعذراء نطقت به هذه الزوجة المباركة، وصلاة وتسبيح رفعتها العذراء ذبيحة لله فى بيتها. زيارات بيوت القديسين كلها ولائم إنجيلية تخلو من الثرثرة الردية وتمتلىء بالتسابيح الشجية. وأما جيرانها وأقاربها فكانت محبوبة لديهم، حتى لما جاء زمان ولادتها وسمعوا بذلك «فرحوا معها» (لو ١ : ٥٨) ولما حضروا إليها يوم الثامن لختانه لم نسمع عن تهريج وضجيج إنما فتح الأب الكاهن فمه ولسانه «وبارك الله فوقع خوف على كل جيرانهم» (لو ١ : ٦٤، ٦٥). هذه هى كرازة بيوت القديسين للجيران والأقارب.

وأما الإبن الذى تنبأ أمامه أبوه «وأنت أيها الصبى نبى العلى تدعى» (لو ١ : ٧٦) فقد شهد له جبرائيل الملاك بأربعة سمات: عظيم أمام الرب، لا يشرب الخمر أو المسكر، يمتلىء بالروح من بطن أمه، يهيىء للرب شعباً مستعداً يرد كثيرين بروح إيليا وقوته (لو ١ : ١٥ ـ ١٧) بينما شهد له أبوه بأربعة سمات أخر: يعطى الشعب معرفة الخلاص لغفران الخطايا، بأحشاء رحيمة مملوءة من رحمة إلهنا، ويضىء بسلوكه على الجالسين فى الظلمة، يهيىء الأقدام فى طريق السلام (لو ١ : ٧٧ ـ ٧٩).

هذا هو ثمرة الأب القديس والأم القديسة، فرح وإبتهاج

«وكثيرون سيفرحون بولادته». عظيماً حقاً لا فى العالم الكاذب لكن أمام الله بتقواه، وأمام الناس فى معرفة الله وخلاصه، وأمام نفسه لأنه لم يتدنس بالخمر الذى فيه الخلاعة بل كان ممتلئاً من الروح منذ الطفولية. فالأب المكرس لله الذى قدس نفسه فى الحق لله، والأم المكرسة لله التى تقدس بيتها بتطويب العذراء والتسبيح.. لابد أن يكونا فى ثمرتهما نبياً للحق الإلهى بأحشاء الرحمة وطرق السلام، حتى وإن دفع ثمنٌ كلمة حق لملك منحرف «رأسه على طبق»!

فهذين الأبوين أين شربا خمراً حتى يراهما الإبن ويقلدهما؟ ومتى وجدهم فى شجار مع جيرانهم أو أقاربهم؟! ومتى وجد أصدقاء الأبوين أشرار حتى يترسخ الشر فى وجدانه؟!.. إنما هما أبوان شربا معرفة الله وكان جبرائيل رئيس الملائكة صديق الأب بينما كانت العذراء قريبة للأم وفى بيتها...

رحمة إلى الأجيال للذين يتقونه

«لو ١: ٥٠»

(١٨) بيت لعازر ومريم ومرثا

فى هذا البيت لا نسمع عن الأبوين. هل رحلا؟ غالباً. ولا نسمع عن زوجة أو أزواج لهؤلاء الأخوة. هل كانوا بتوليين؟ غالباً.

فى هذا البيت الذى لم نسمع عن والدين أو معاونين نسمع عن علاقة فريدة ربطت السيد المسيح بجميع أفراده لقد كان هو رأس البيت، وصديق البيت، وحبيب البيت، ومعين البيت. يالعظم سعادة هذا البيت!

فلعازر الأخ، كانت تربطه بالسيد المسيح محبة شهد لها اليهود عندما بكى يسوع أمام قبره «أنظروا كيف كان يحبه؟!» (يو ١١ : ٣٦)، على رأى المثل «المحبة ما تستخباش».

تعرض للمرض الشديد، وسمع يسوع فقال «هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد إبن الله به». ولم يلهث يسوع ليشفيه، بل مكث أربعة أيام حتى مات وأنتن. وكان هو يسوع المحب للعازر المحبوب. إذ بواسطة هذا النتان أعلن الرب لاهوته الذى أمات

الديدان الحمراء المنتنة، وأرجع للجسد طبيعته السليمة، ثم أعطى إذناً بالحياة للجسد بصورة مذهلة لمجرد قوله: «لعازر هلم خارجاً».

لقد كانت محبة الرب للعازر ومحبة لعازر للرب غير خاضعة للعاطفة، بل كانت وسيلة من وسائل الكرازة إستخدمها الرب «فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به» (يو ١١ : ٤٥) **لقد صار لعازر فى مرضه وموته وقيامته بيسوع خادماً ليسوع. نعم فالمرض والموت كلاهما خادمان للرب المحب فى بيت المحبوبين لديه.**

وماذا كان نصيب لعازر بسبب محبته للمسيح: لم يقتصر على حب المسيح ومعجزاته فقط بل ودخل إلى آلامه أيضاً إذ «تشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر أيضاً». (يو ١٢ : ١٠)... إن محبة المسيح ليست التاج فقط بل وحتماً الصليب.

أما مريم الأخت فقد أظهرت العاطفة القوية فى محبتها للرب: فعندما كانت تسمع بمجيئه إلى بيتهم كانت تقوم سريعاً لتلاقيه (يو ١١ : ٢٩). ثم كانت تجلس عند قدميه كل الوقت تسمع كلامه (لو ١٠ : ٣٩). كما أنها كانت تذهب وراءه فى البيوت، ففى بيت سمعان الفريسى كسرت قارورة طيب كثيرة الثمن على قدمى يسوع ثم مسحتهما بشعر رأسها.

فمدح الرب إختيارها له كنصيب صالح أخذته، وجعل الرب

تقدمة محبتها تذكاراً دائماً يذكر لها كلما يكرز بالإنجيل فى العالم... فالرب لا يحتقر تقدمة الحب.

وأما مرثا الأخت فقد أظهرت الخدمة للرب «فصنعوا له هناك عشاء وكانت مرثا تخدم» (يو ١٢ : ٢). فلم يكن ممكناً أن يكون لعازر أحد المتكئين مع الرب، ومريم جالسة عند قدميه وتترك مرثا خدمة الطعام للرب!

ومع أنها أظهرت الإضطراب والقلق وطلب المعونة من أختها فى العمل، لطبيعة العمل الذى يقدره كل من إختبره، وقال الرب عنها «مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة» موبخاً الإهتمام والإضطراب لا العمل نفسه أو الخدمة ذاتها. ومع هذا التوبيخ إلا أن الكتاب يشهد «وكان يسوع يحب **مرثا وأختها ولعازر**» (يو ١١ : ٥) واضعاً إياها أولاً... أليس هو الذى قال «وأكبركم يكون خادماً» (مت ٢٣ : ١١)، «إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل» (مر ٩ : ٣٥).

وقد أظهرت الأختان المحبة الأخوية الصادقة للأخ عند مرضه إذ صنعا أهم شىء «فأرسلت الأختان إليه ـ إلى يسوع ـ قائلين هوذا الذى تحبه مريض». هذه المحبة بعضهم لبعض ظهرت للناس أيضاً والذى يشهد على ذلك الجمع الكثير من اليهود الذى أتى عند موت لعازر ليعزيهما.. **نعم إذا كان يسوع الحب رأس فالبيت كله حب وللجميع.**

١٩ بيت مارمرقس

فى هذا البيت نرى الزوج وثنياً، والأم يهودية، ومارمرقس شاب يتبع المسيح حتى يجذب أمه فتتبع المسيح، ثم بسيرة أمه الحسنة بشهادة إيمانه بالصليب وموت الأسد فى برية ليبيا يقود أبيه نحو الإيمان المسيحى. **هذا هو الإبن البركة فى البيت الذى يصير الكل للمسيح**. كم إحتمل معاناة ورفضاً؟!. كم ذاق مرارة الوحدة لأجل المسيح؟!، ولكن لابد أن الكلمات التى دونها مارمرقس فى إنجيله عن السيد المسيح كانت ترن فى أذنه وقتها «وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده... وتكونون مبغضين من الجميع من أجل إسمى، ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مر ١٣: ١٢، ١٣) هذه ضريبة يدفعها الإبن الذى يحب المسيح وطاعة إنجيله فى بيت لم يتذوق ذلك بعد بل ويتنكر ويستهزىء ويقاوم من هو فى حاجة إلى عطف وحنان.

طوبى للإبن الذى يصير لبيته بركة فى الإيمان الحى.

أما مريم أم مارمرقس فقد أعطت نموذجاً للزوجة المتعقلة التى

تجعل إيمانها بالمسيح حياً وسلوكاً، ومع كون زوجها وثنياً لا يؤمن بما هى تؤمن.

لقد جعلت بيتها مفتوحاً للمسيح وتلاميذه: ففى بيتها صنع الرب يسوع الفصح وأسس سر التناول المقدس بعد أن قامت بإعداد علية كبيرة مفروشة، وفى بيتها حل الروح القدس على التلاميذ الرسل فى يوم الخمسين. وكما شهد مزود بيت لحم ميلاد الكلمة المتجسد، صار بيتها مزوداً شهد لميلاد الكنيسة المسيحية. وأحداث أخر كثيرة شهدها هذا البيت بفضل هذه الزوجة الحكيمة العاقلة التى جمعت بين إيمانها وزوجها غير المؤمن. لقد كافأها الرب فى زوجها، فكما فتحت هى باب بيتها للمسيح فتح هو قلب الرجل فى الزمن المناسب ليؤمن ويشاركها مع حياتها الزمنية الحياة الأبدية أيضاً.

وصار هذا البيت فى العصر الرسولى مركزاً لكرسى أورشليم، حيث أقام فيه ماريعقوب أخو الرب أول أسقف لأورشليم إلى أن إستشهد. وفيه أقيم مذبحاً كرسه ماريعقوب وصلى عليه، وهو لا يزال إلى يومنا هذا فى «بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس» أو «دير مارمرقس» فى أورشليم.

وفيه أيضاً كانت الكنيسة كلها تصلى من أجل نجاة ماربطرس الرسول إبان فترة وجوده فى السجن. ومازال هذا البيت يحتفظ بالباب الذى قرعه ماربطرس بعد أن إلتجأ إلى بيت مرقس

عقب خروجه من السجن مباشرة (راجع أع ١٢ : ١٢).

فالبيت الذى يضيف المسيح يضيف تلاميذه أيضاً.

ومادام البيت صار للمسيح فلابد أن يكون مفتوحاً لرسل وخدام رب الجنود أيضاً. ألم يقل ربنا «من يقبلكم يقبلنى، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى» (مت ١٠ : ٤٠) وأيضاً «إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً»؟! (يو ١٤ : ٢٣) لاحظ تعبير الرب «إليه نأتى»: هو وأبيه وروح قدسه وملائكته وتلاميذه وكل قديسيه... حقاً هنيئاً للبيت الذى يدخله المسيح! **وأنت يا عزيزى بيتك من هم ضيوفه؟! ومن هم رواده؟!** إن محيط الأصدقاء والرواد يؤثر حتماً فى سلوك أفراد البيت وحسبما يكونون يكون مقدار تأثيرهم فى البيوت المفتوحة أمامهم.

يا ليتك يا عزيزى تنادى مارمرقس الآن، وأمه، لكى يعلمونا كيف نفتح بيوتنا للمسيح ورسله وخدامه فتنفتح أمامنا أبواب السماء من هنا على الأرض.

٢٠ بيت مارمينا

حقاً إن الأطفال يكملون الأسرة، ولكنهم ليسوا هدفاً وحيداً فى البيت المسيحى. **لأن الهدف الأهم فى الزواج المسيحى هو أن يعاون كل شريك شريكه الآخر على الحياة الأبدية والزمنية.**

ولكن من الرجال والنساء من يظهرون تلهفاً شديداً على إنجاب الأطفال ويحاولون بشتى طرق التحايل العلمى أو طرق الشعوذة الشريرة لكى يقاوموا إرادة الله التى لا تسمح لهم بالأطفال. وهذا إنحدار كبير فى الإيمان لم تسلكه والدة مارمينا القديسة، عندما رأت حنين زوجها وإلحاحه على أن يكون له إبن.. بل أعطت لنا نموذجاً روحياً فريداً، إذ طلبت من الله أمام مذبح كنيسة السيدة العذراء بتل أتريب (بقرب بنها حالياً)، وكاهنه الذى إستلم رغبتها فى إسعاد زوجها بطفل وطمأنها بالإيمان، لم تكتف هذه الأم العظيمة بهذا، بل وقفت فى صداقة القديسين أمام أيقونة أمها وأمنا جميعاً والدة الإله مريم العذراء ورفعت عينيها بإيمان لا إلى أيقونة فحسب، بل إلى أم صديقة تعيش معها إحساسها وتشاركها مشاعرها... حتى أن

الأيقونة الصماء سمع منها صوت ناطق يقول لصلاتها «آمين»...

وهكذا سلمتنا أم مارمينا كيف نسلك بالإيمان عندما نصطدم بقضايا العيان. فشفاعة وصداقة وأمومة القديسة مريم العذراء من جيل إلى جيل تقضى حاجاتنا أمام المنبر الإلهى بإقتدار وقوة عظيمة.

كان قداسة البابا متاؤس العظيم فى البطاركة، والذى بصلاته فاض نهر النيل بالماء بعد جفاف مروع، عندما يمر بضائقة يذهب إلى أيقونة أمنا العذراء بكنيستها بحارة زويلة (والتى كانت مقراً بابوياً آنذاك) ويكلمها كلام الإبن لأمه وكانت هى تسمع وترد بصوت أو تحرك عينيها فى الأيقونة أو بالفعل حتى سميت أيقونتها «بالعذراء المغيثة» وهى لا تزال تصنع هكذا مع كل ملتجىء إليها بإيمان وبنوة وعشم.

وسلوك الإيمان لهذه الأم العظيمة ظهر أيضاً فى تسمية الطفل. فلما سمعت الصوت الناطق من الأيقونة يقول «آمين» وضعت فى قلبها أن تسمى المولود «آمين» وهو «مينا»... **إن تسمية الأطفال فى البيت المسيحى ينبغى أن تكون إعلاماً للمسيح والكنيسة**، وهو شهادة تضفى على سلوك الأولاد وحياتهم مرافقة أرواح القديسين لأولادنا وسعيهم وجهادهم. هناك من يقرأون سنكسار اليوم الذى يولد فيه الطفل ويختارون إسم قديس اليوم لوليدهم، وهناك من يسمعون قراءة الإنجيل فى الكنيسة ويختارون لطفلهم إسم الإنجيلى

الذى قرأ الفصل من كتابه، وهناك من يرفعون قداساً ثم يختار لهم الأب الكاهن إسماً.. فالإسم للإنسان أغلى شيء عنده، يظل يذكره بالله وقديسيه وتقوى والديه حتى بعد مماتهم.

لذلك لما إنخرط مارمينا فى سلك الجندية، فاض سلوكه بالإيمان الغنى الذى جعله لا جندياً مقداماً فحسب بل وبطلاً للإيمان يقدم للأجيال العذابات التى قبلها بفرح والإستشهاد الذى قدمه طعاماً لإيمان الكنيسة **ومازال يقدمه لكل من يقف أمام أيقونته يطلب بصداقة وحب وإيمان.**

ومع أنه صنع هذا وهو شاب حدث إلا أنه عاون بجدارة شاهدناها بعيوننا أبينا الشيخ الطاعن فى السن والعظيم فى البطاركة قداسة البابا كيرلس السادس.. كم فرحت أم مارمينا وهي ترى إبنها الشاب يستقبل البطريرك الشيخ الذى صادقه على الأرض لحظة وصوله للسماء؟!

يقيناً إن أمومة هذه العملاقة فى الإيمان إستطاعت أن تترك لنا تعليماً دائماً: **إن الجندية لأولادنا تصقل رجولتهم وتعدهم أبطالاً لجيش الإيمان المسيحى إن كانوا قد إغتذوا الإيمان البسيط النقى مع باقى أغذية النمو فى الطفولة.**

(٢١) بيت القديسة دميانة

هذا البيت أنجب أعظم شهيدة من بنات مصر. لا شك أن مرقس والى البرلس أب عظيم أمام الرب، وكذلك أمها القديسة التى لا نعرف إسمها إنما هى وزوجها وإبنتها معروفون ومحبوبون لدى الرب فى السماء.

وهى نموذج لبيت حاكم مؤمن، إنفتح قلبه للإيمان بالمسيح فصار بيته علامة من علامات الملكوت ومصباحاً منيراً فى تاريخ البيوت القبطية. قل لى ما الذى جعل فتاة جميلة المنظر جداً تتمتع بمركز وسلطان أبيها مع كل مقومات الزوجة الناجحة، تحب المسيح وترتبط به رباطاً أبدياً وتعف عن الزواج بأمير ولاية وهى فى الثامنة عشر من عمرها؟! ما الذى جعلها فى هذه القامة الروحية الفريدة فى عصرها فتعيش عذراء وتكون لها قوة وقدرة حتى تقنع أربعين فتاة من جنسها ليعشن عذارى للمسيح؟! ما الذى جعلها تستطيع أن تشهد للمسيح خلال سبع عذابات متتالية لا يصمد أمامها رجال؟!!

إن كنت لا تعرف فتذكر أن إرضاع اللبن لموسى من أمه وهو ساكن فى بيت إبنة فرعون جعله يرضع الإيمان الذى ظهر فى سلوكه بقوة وهو فى الأربعين.

نعم يا عزيزى فإن **هذا الأب المبارك، وزوجته العظيمة قاما بدور إيمانى مؤكد فى تعليمهم وفى سلوكهم وفى قدوتهم مبكراً أمام العفيفة ديانة حتى أنهم قدموا لها الدسم الذى نماها سريعاً وأصل الفضيلة فيها مبكراً وأيقظ التكريس فى قلبها فى عصر لم يعرف تكريس البنات إلا على يديها كرائدة عملاقة.**

إن دور الأبوين القديسين مؤكد فى قداسة الجيل الذى يتعهدانه بالرعاية.

وهو نموذج أيضاً للبيت الذى يحصد من نفس نوع الزراعة. لقد زرع الأب مرقس المسيح فى قلب إبنته ديانة، وسخر إمكانياته المادية لا ليعوقها أو يرهبها إنما ليبنى لها بيتاً فى برارى بلقاس لتقيم فيه نذرها مع أقرانها... لذلك عندما ضعف إيمانه، وأنكر المسيح... حصد من إبنته حباً حقيقياً وتوبيخاً إنجيلياً ونداءً إلهياً رده إلى حضن المسيح بل وقاده إلى ساحة الإستشهاد يلبس إكليلاً ويدخل للمجد.

نعم يا عزيزى، كم إفتقد أبناء آبائهم للمسيح، بعد أن زرع لهم الآباء. وكم من آباء تابوا بشهادة أولادهم؟!... **إن وجدت إبنتك أو إبنك فى طريق الرب فساعدهما ولا تعرقلهما، فربما كنت أنت**

أحد النفوس التى تنقذ من جهنم بواسطتهما.

وهذا البيت يعطينا نموذجاً للإنجاب الحقيقى... لقد أنجب الأبوان فتاة واحدة، فلم نسمع عن أخوة آخرين أو أخوات لها: والإبنة الوحيدة أو الإبن الوحيد، تتجمع فيه آمال الأبوين ليزوجاه ويفرحا ببيته وبأولاد جسدانيين كما يقول الحكيم «تاج الشيوخ بنو البنين» (أم ١٧ : ٦) لكنهما إذ إحترما رغبتها، ولم يقاومنها بل عاوناها على البتولية فأصدق الرب وعده لهما «من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو إمرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل إسمى يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية» (مت ١٩ : ٢٩). فكم من بطاركة وأساقفة وكهنة ورهبان وراهبات، وكم من حكام وقادة وعلماء وبسطاء وقفوا أمام أيقونة القديسة دميانة يضعون شمعة وفاء وينادون «إشفعى فينا يا أمنا القديسة دميانة» فالأمومة الروحية لفتاة واحدة صارت والدة لأمم وأجيال فى المسيح. أنظروا لو أعطى لنا أن نرى أو نكلم مرقس وزوجته وهما فى المجد الآن يبصران النفوس التى تولد للمسيح وتختمى فى شفاعة القديسة دميانة، ماذا يقولان لنا؟!... حتماً سيقولان: «**الزواج (مع قدسيته) ليس هو الأسلوب الوحيد للإنجاب فى المسيحية**».

(٢٢) بيت أبونا ميخائيل

بيت فيه الزوجان يقدسان الرب: فالأب يذهب إلى الكنيسة مبكراً. وعند دخولها كان يسجد كثيراً ويقبل أيقونات القديسين ويظل واقفاً طول صلاة القداس ولا يخرج إلا عندما يقول الكاهن إمضوا بسلام. والأم قديسة فى بيتها لا تعول الهم بل عندما أتاها زوجها فى أول أيام الشهر بعد أن وزع المرتب البالغ أنذاك ١٦ جنيهاً و٤٥٠ مليماً على المحتاجين، ولم يكن فى جيبه غير ٧٥ قرشاً، لم تثور كعادة النساء غير التقيات، بل قالت له «بركة» ثم وضعا المبلغ أمام أيقونة العذراء (كعادتهما كل أول شهر) وصليا وباتا فى سلام. وفى الصباح لما ذهب الزوج إلى عمله وجد مكافأة غير متوقعة تنتظره وقدرها ١٥ جنيهاً.. فرجع إلى زوجته وقال لها (يا أم إبراهيم شوفي ربنا أخذ إللى له ـ يعنى العشور ـ ورجع السلفة «من يترأف على الفقير يقرض الرب، والله يجازيه عن معروفه») (أم ١٩: ١٧).

كان بيت ميخائيل أفندى إبراهيم أو بيت القمص ميخائيل إبراهيم بعد السيامة الكهنوتية، بسيط الأثاث والمظهر، وفى أحياء

متواضعة سكن وعاش حتى رحل للمجد. **فالعظمة الحقيقية لا تكمن فى الأثاث والثياب والزخارف، والحلى، إنما فى العظماء الحقيقيين الذين تنبع عظمتهم من نقاوة قلوبهم وبساطة سلوكهم وأحاديثهم**، حقاً المثل الذى يقول (البيوت بسكانها لا بأبوابها).

وتعرض هذا البيت لرحيل أحد الأبناء فى معركة ١٩٥٦. فكان نموذجاً للإيمان بالسماء والأبدية والحياة المنتظرة إذ أقام قدس أبونا القداس، وكان يقف فى صوان العزاء (كالعادة أيامها والتى قاربت على الإندثار الآن) مبتسماً ويسلم على الناس ويقول «الله يعزيكم ويعزينا»!... وعندما رحلت الزوجة القديسة وكان قدس أبونا مازال فى الجسد وقف فى الكنيسة بعد الصلاة أمام الجثمان ورفع يديه وقال «أشكرك يارب أنك طمأنتنى على أم إبراهيم»... وكان يحتفظ فى الحجرة البسيطة المخصصة لإستقبال الناس بصور هؤلاء وغيرهم، وكان لإيمانه بأنهم أحياء بعد صلاة الصباح يقول أمام كل صورة: صباح الخير «يا فلان» أذكرنا، وهكذا كان يصنع مع أيقونات القديسين عند دخوله الكنيسة فى الصباح. **إنه كان يؤمن بإله الأحياء، لذلك ظلوا فى ذاكرته أحياء وفى سلوكه اليومى أحياء.** وأنت فى المجد الآن يا قدس أبونا نظل نذكرك حتى النهاية، فأذكرنا وجهادنا.

وكان يقضى قدس أبونا وعائلته شهراً فى مصيف الأصدقاء المبارك بالمندرة، بين القداسات فى كنيسة مارمينا العامرة والجلوس

فى البلكونة أمام البحر فى هدوء، أو فى نزهة بالأقدام فلا شك أن تغير الحياة الروتينية لأى أسرة ينعش جميع الأفراد بالحب والحيوية أولاً والصحة ثانياً. وفى المصيف تقضى الأسرة حياتها بخوف الله، فقد تناولت مع أبونا طعام الإفطار الصيامى بعد القداس فى البلكونة بعد أن صلى على الطعام قبل تناوله. أما تعرية الأجساد فى المصيف فمع كونها معترف بها جماعياً وعالمياً، ومع أن رياضة الإستحمام نافعة، إلا أن الذى يسمع قول الكتاب «قدموا أجسادكم ذبيحة حية مرضية عند الله عبادتكم العقلية، ولا تشاكلوا أهل هذا الدهر» (رو ١٢: ١، ٢) يحب ويشتاق أن يقدم جسده فى المصيف ذبيحة، والآباء الرسل أوصونا فى تقديم الذبيحة أن نضع فوقها غطاء.. وهكذا يختار القديسون وأولادهم فى المصيف بركات التغيير ولا ينزلقون فى إهدار الجسد قوة الذبيحة بالعرى. فحضور القداسات، والعشيات، وطاعة الإنجيل فى السلوك اليومى لا ترتبط بالمكان بل بقلب الإنسان.

وكان هذا البيت يستضيف الغرباء وذوى المشاكل بأسلوب عجيب وروحى. فلقد دخل البيت شخص فى ساعة متأخرة من الليل، وجلس مع هذه الشخصية قدس أبونا ثم خرج للزوجة يقول لها «حضرى بيات يا أم إبراهيم». فأنزلت الزوجة مرتبة من على السرير ووضعتها على سجادة فى الصالة ومعها غطاء، وأخبرت أبونا الذى لم يعترض على تصرف الزوجة بل دعا الضيف لينام، ودخل هو لينام مع زوجته وبعد الصلاة صعدت زوجته على السرير وأما هو

فنام على سجادة وأخذ غطاء. فلما إستفسرت منه زوجته «ليه يا أبونا» قال لها «مش ممكن يكون المسيح نايم على سجادة وأنا نايم على سرير؟!» فخجلت الزوجة جداً وصححت الوضع سريعاً. حقاً قول الكتاب «لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة» (عب ١٣ : ٢).

أبونا القمص ميخائيل أبراهيم

(٢٣) بيت أبونا بيشوى

ليست القداسة وقفاً على بيوت الزوجين البسطاء فى الثقافة أو المعرفة، إنما فى بيوت العلماء تسكن وترشد للمسيح أيضاً.
فالزوج فى البيت تعلم تعليماً جامعياً وحصل على دراسات عليا، ولكنه كان فى رجاء الحياة الأبدية العليا يحيا، لذلك عاش المسيح فى علمه، وإستخدم الرب ثقافته فى خدمة التأليف والكتابة حتى خدم بها الكنيسة الجامعة ولازال يخدم بها للآن حتى بعد رحيله للمجد.

كان بيت أبونا القمص بيشوى كامل لا يقوم عليه وحده، بل على زوجة مباركة خادمة نذرت نفسها لخدمة النفوس رغم ما حصلت عليه من شهادة علمية. وإختارت التكريس لتكون كل لحظات حياتها للرب، لذا صار هذا البيت ملجأ لنفوس كثيرة وجدت فيه إرتواء وشبع حقيقيين.. كما إختارت ثياب التكريس البيضاء (والتى كان يلبسها رهبان وراهبات الأقباط قديماً) شهادة صامتة كان بليغة جداً وناطقة يوم الصلاة على جثمان قدس أبونا

فى الكنيسة... فكثيرون من السيدات كن يلبسن ثياباً سوداء أما هذه الزوجة المكرسة فكانت كالقمر الساطع فى ليلة حالكة الظلام... سطعت بشهادة المسيح بدون وعظ أو كلام: **إن الحياة هنا حلوة حقاً، ولكن الحياة الأبدية أحلى.** وإن كانت العروس يوم زفافها أى دخولها الحياة العملية تلبس ثياباً بيضاء، فدخول النفس العروس للأبدية أولى به جداً أن يلبس لها الثياب البيضاء.

ومع أن سر الكهنوت لا يلغى سر الزواج، فقد إختار هذان الزوجان عيشة البتولية وهما ساكنان معاً فى بيت. ومع أن معرفتى بهذا البيت ـ لعدم إستحقاقى ـ كانت قليلة إلا أن قداسة وكيل البطريركية (القمص أنطونيوس ثابت وقتها) قال فى يوم رحيل أبونا للسماء وفى وجود قداسة البابا شنودة الثالث وآباء أساقفة وكهنة ورهبان كثيرين... «إنه من توافق عجيب أن يقع رحيل أبونا للسماء مع تذكار ظهور بتولية القديس ديمتريوس الكرام البطريرك الذى كان قد إرتبط بالزواج قبل رهبنته ثم ماتت زوجته»... **إن محبة المسيح التى ترابطت بها حياتهما كانت لذتها أقوى من أى لذات أخرى فرفضاها لا عن إستعلاء بل عن عطاء الكل للمسيح.**

وقد دخل هذا البيت تجربة المرض فى جسد قدس أبونا، ومع سلسلة من الآلام المعروفة عن مرض السرطان والعمليات الجراحية، أظهر هذا الأب العظيم قوة الإحتمال والشكر بل والخدمة أيضاً... لقد كان يخدم على سرير وجعه بالكتابة، وقد أعد فى الفراش

الكتاب الأخير له عن «القيامة» برجاء يلمسه كل قارىء. إن المرض رسالة فى حياة أولاد الله وبيوتهم ومهما يكن سبب المرض، فيقيناً **إن الصديق (الذى شبهه الكتاب المقدس «بالنخلة» إن زرع فى أرض قليلة الماء، بل وفى الماء الذى به الملوحة الضارة يستطيع بحياته الغنية فى باطنه أن يحولها إلى ثمار حلوة كل من يقطف منها ولو بالحجارة يشبع ويفرح ويقول «الله» ممجداً!**

وبعد رحيل أبونا للسماء، ذهبت إحدى بناتنا تزور زوجة أبونا «تاسونى أنجيل» (أكمل الرب جهادها بالبركة) وبعد أن رحبت بها وأضافتها قالت لها «تعالى نزور أبونا» وأخذتها إلى الكنيسة حيث يرقد جسد أبونا تحت المذبح ووقفت معها وعملوا تطويب. هذا الوفاء الزيجى والروحانى معاً درس نفتقر إليه هذه الأيام.

فهـــرس

❐ البيت المسيحى ٧

١ ـ البيت المسيحى فى المجتمع ٨

٢ ـ الأب فى البيت المسيحى ١٢

٣ ـ الأم فى البيت المسيحى ١٥

٤ ـ الأبناء فى البيت المسيحى ١٨

❐ سمات للبيت المسيحى ٢١

٥ ـ بيوتنا بيوت صلاة ٢٢

٦ ـ بيوتنا بيوت بركة ٢٥

٧ ـ بيوتنا بيوت طهارة ٢٨

❐ أمثلة لبيوت القديسين ٣١

٨ ـ بيت أبونا أيوب ٣٢

٩ ـ بيت أبونا إبراهيم ٣٦

١٠ ـ بيت أبونا يعقوب ٣٩

١١ ـ بيت داود النبى ٤٢
١٢ ـ بيت أرملة صرفة صيدا ٤٥
١٣ ـ بيت بوعز ٤٨
١٤ ـ بيت نعمى ٥١
١٥ ـ بيت راعوث ٥٤
١٦ ـ بيت طوبيا ٥٧
١٧ ـ بيت زكريا ٦٠
١٨ ـ بيت لعازر ومريم ومرثا ٦٤
١٩ ـ بيت مارمرقس ٦٧
٢٠ ـ بيت مارمينا ٧٠
٢١ ـ بيت القديسة دميانة ٧٣
٢٢ ـ بيت أبونا ميخائيل ٧٦
٢٣ ـ بيت أبونا بيشوى ٨٠

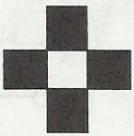

هذه نبذات يومية وزعت خلال أيام صوم
السيدة العذراء عام ١٩٨٠م / ١٦٩٦ش،
رأينا للفائدة جمعها فكان هذا الكتاب،

أسرتى

(٣)